السلطة الخامسة

(نبض الحياة في القرية العالمية)

الكتاب: السلطة الخامسة

الكاتب: د. جودت هوشيار

الطبعة الأولى: 2018

جميع الحقوق محفوظة

الناشر: دار الزمان
للطباعة والنشر والتوزيع
فايبر وواتس آب:
00964 772 4223169
موبايل: 00964 750 3598630
E-mail: zeman005@hotmial.com
Website: www.darzaman.net

په رتووكخانه يا نوودم
Mob: 00964 750 3598630
00964 770 4572613
Viber – whatsapp:
00964 772 4223169
E. mail: zeman005@yahoo.com
Facebook: Pertûkxana nûdem

الإخراج الداخلي: **دار الزمان**
تصميم الغلاف: **م. جمال الأبطح**

Copy Right © Dar Zaman Publishing
لا يسمح بطباعة هذا الكتاب أو تصويره أو نسخه
إلا بإذن خاص ومسبق من الناشر
All right reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted.
without permission in writing from the publisher

د. جودت هوشيار

السلطة الخامسة

(نبض الحياة في القرية العالمية)

تقديم

طرأ على مدى العقدين الماضيين تحول جذري على مباديء عمل وسائل الأعلام الحديثة، وبدأ هذا التحول، نتيجة للتطور المتسارع لتكنولوجيا الأتصالات والمعلومات، والتعميم الرقمي في مجالات الحياة اليومية، وانتشار الأجهزة اللوحية والهواتف الذكية، التي اتاحت إمكانية استخدام مجموعة من الوسائل الجديدة بأشكال متنوعة وجذابة، وبأكثرمن حاسة واحدة في وقت واحد، كالمشاهدة والقراءة والأستماع بحرية – تكاد تكون كاملة – وبتكلفة زهيدة، وتزايد وتنوع مصادر الحصول على معلومات موثقة وحديثة بسهولة ويسر وسرعة فائقة .

شيكة الأنترنيت من أهم الأنجازات التكنولوجية على مدى التأريخ البشري، ولكن لا تزال امكاناتها، ومسار تطورها اللاحق غير مفهومة تماما، ولا أحد يمكن ان يتنبأ على وجه الدقة بما تحمله من مفاجآت، حتى في المستقبل المنظور . فقد كانت في البداية مجرد أداة لنقل البيانات الرقمية من جهاز كمبيوتر بحجم غرفة كبيرة الى جهاز آخر بنفس الحجم تقريباً، ولكن تحوّل بسرعة الى وسيلة فعالة للتعبير الذاتي بأشكال متنوعة. وهي تبدو غير مادية ولكنها تتطور بأستمرار وتزداد تعقيدا من يوم الى آخر. وتحمل الفوائد والشرور معا، وبدأنا الآن ندرك مدى تأثيرها في عالمنا .

فى كل لحظة مئات الملايين من البشر يخلقون، ويتبادلون، ويحصلون على كميات هائلة من المعلومات في فضاء حر، لا تحده في الواقع اي حدود جغرافية او سياسية. لذا يتعذر اخضاع الشبكة للقوانين الوطنية لهذه الدولة أو تلك. وبفضل الامكانات الجديدة للتعبير الحر عن الرأي، والتدفق المعلوماتي الهائل نشأ المشهد الأفتراضي المعقد المعروف لنا .

تمعّن ايها القاريء، كم موقعا الكترونيا زرت ؟، وكم رسالة الكترونية أرسلت أو تلقيت ؟، وكم من الاخبار والقصص والتقارير والمقالات قرأت؟، وكم من الحقائق الجديدة عرفت؟، وكم من علاقات جديدة أنشأت ؟، وكم من الأحلام ولدت هنا وتحققت ؟. كل ذلك بفضل هذه المنصة الشاملة.

قبل ظهور الإنترنت، كنا نعيش في نوع من حقبة ظلامية: كان علينا أن ننتظر طويلا لسماع الأخبار من الراديو او التلفزيون، أو نطلع عليها في الصحف في اليوم التالي. ونضطر للذهاب إلى متجر للتسجيلات الموسيقية، لشراء ألبومات جديدة، تحتوي على الأغاني والموسيقى التي نحبها .

واذا لم نجد تحت يدنا مصدرا يتضمن المعلومات التي نحتاجها – كنا نتوجه الى مكتبة عامة، ونقضي وقتا طويلا، من اجل العثورعلى ما نبحث عنه في بطون الكتب والمخطوطات المغبرة .

اقتحمت شبكة الأنترنيت حياتنا وغيرت كل شيء فيها، نحن نعرف اليوم كل ما يحدث في العالم لحظة بلحظة، نعرف عن الزلازل قبل أن تصل الينا، نستطيع ان نغير بأنفسنا أي مقال في الأنسكلوبيديا الحرة، يمكننا ان نطلع على الأخبار أولا بأول، وعلى الآراء المختلفة والتعليق عليها. يمكننا نشر كتاباتنا الفكرية والإبداعية، بسرعة فائقة ليطلع عليها القراء في شتى انحاء العالم، ونتبادل المعلومات والرسائل والصور مع من نشاء. كل ذلك ببضع نقرات الماوس .

الإنترنت غيرت ثقافتنا، فنحن اليوم نحصل على الفور على اجابات لأي سؤال يخطر ببالنا. يمكننا ان نوجه الأسئلة، حتى الى الرؤساء والزعماء وقد نتلقي منهم الأجابات احياناً .

وفي الوقت ذاته، فأن عدم وجود أي نوع من التوجيه المركزي على الشبكة، أتاح الفرص للعنصريين والمتطرفين والأرهابيين، نشر سموم الكراهية والعنف في العالم على نحو غير مسبوق .

ومع توسع هذا الفضاء، سوف تتغير تصوراتنا، عن كل مجال من مجالات الحياة الأنسانية، من التفاصيل اليومية الى المفاهيم الأساسية المتعلقة بالشخصية، والعلاقات مع الآخرين، وحتى سلامتنا الشخصية. وتحت الضغط الشديد للتكنولوجيا الجديدة تنهار الحواجز التقليدية على طريق الاتصال بين البشر: المسافات، اللغات، محدودية فرص الحصول على المعلومات – ويبدأ صعود موجة جديدة من الابداع وتنمية الطاقات البشرية الكامنة . وقد ادى التوسع الهائل للإنترنت إلى واحدة من التحولات الاجتماعية والثقافية و السياسية الأكثر اثارة للدهشة في التاريخ .

والآن، على عكس الأيام الخوالي، حدثت تغيرات عالمية حقا. لم يحدث من قبل قط ان ظهرت فرص او امكانات او خيارات، لمثل هذا العدد الهائل من الناس من مختلف البلدان. رغم أن هذه الثورة التكنولوجية، ليست الأولى في تاريخ البشرية بطبيعة الحال، ولكن لأول مرة في التأريخ، يمكن لأي شخص أينما كان،ومتى شاء، أن يخلق معلومات إلكترونية، او يمتلكها ويوزعها في الوقت الحقيقي، دون إشراك وسطاء.

وادت الثورة الرقمية الى تغييرجذري في أنماط التفكير وعادات القراءة، وعزوف التاس عموما والشباب خصوصا عن قراءة الصحف الورقية، وشيوع ثقافة الحصول المجاني على المعلومات، وأخذت الأزمات المالية المتلاحقة في كل مكان تعصف بالصحف الورقية، رغم اهتمامها المتزايد بالأخراج الفني، وتغيير أساليب المعالجة الصحفية، والأهتمام بالصور الملونة الكبيرة والعناوين الجذابة .

وأضطرت تلك الصحف الى التوجه نحو اصدار نسخ الكترونية بتطبيقاتها التفاعلية المتعددة بموازاة النسخ الورقية أو بدونها، لكسب أكبر عدد ممكن من القراء والوصول اليهم أينما كانوا في أرجاء العالم .

الجيل الجديد لا يكتفي بالقراءة والمشاهدة والأستماع دون حسيب أو رقيب، ولكنه يكتب أيضاً في مواقع التواصل الأجتماعي والمنتديات والمدونات عن كل ما يشغل باله ويصور الأحداث الساخنة وينشرها على الملأ فور وقوعها، وبهذا يعد مشاركا فعالا في الفضاء الأعلامي .

نحن نعيش في عصر ثورة معلوماتية دائمة، والسؤال ليس عن التغيرات التكنولوجية الكثيرة المتلاحقة، بل عن التغير المستمر في الدور الأجتماعي لوسائل الأعلام في عصر الثورة الرقمية. حتى قبل بضعة عقود كانت هذه الوسائل تعكس ما يحدث في المجتمع، أما اليوم فأنها تعكس أيضاً، التغيرات الحاصلة في داخل تلك الوسائل نفسها . وسائل الأعلام اليوم لا تعكس ما يحدث في المجتمعات المختلفة حسب، بل أنها باتت عاملا رئيسيا في ا لتغيير السياسي والأجتماعي والثقافي في العالم بأسره .

وهذا الكتاب الذي بين يدي القاريء يتناول تلك التغيرات، بالبحث والدراسة، ولكن أنتهجت في تصنيفه نهجاً مختلفاً عن المعتاد، فهذا الكتاب ليس (مونوغرافيا) حول موضوع ضيق يفصله الكاتب ويحشوه بالأستطرادات والأقتباسات والهوامش، وكل ذلك مبعث ملل وسأم للقاريء، انما بحوث مركزة تجمعها وحدة الموضوع، وهي صحافة العصر الرقمي بالمعنى الشامل لمفهوم الصحافة، ولكن يمكن قراءة كل بحث على نحو مستقل عن الآخر، كلما تيسر الوقت للقاريء. فأن نجحت في اثارة اهتمام الباحثين بالتغيرات العاصفة في الفضاء الأعلامي العالمي اكون قد حققت الهدف من اخراج هذا الكتاب. ويسعدني تلقي أي نقد يوجه اليه لأن في ذلك اغناء لمحتواه.

جـودت هوشيار

القسم الأول

نظرة جديدة الى العمل الصحفي

من هو الصحفي ؟

قد يبدو هذا التساؤل ساذجاً في نظر البعض، ومستغرباً في نظر البعض الآخر . ولكن أرجو من القاريء ان لا يسارع الى اصدار حكمه و يسمح لي بأن أبدي رأياً قد لا يوافقني عليه الصحفي الذي يعتقد، ان مهنة الصحافة هي سيدة المهن، ولا تدانيها أي مهنة أخرى. دعنا نتساءل أولاً،، ماهي الوظيفة الأساسية للصحفي[1] ؟ وهل هي أكثر أهمية من سائر الوظائف والمهن الأخرى ؟

المهندس يصمم وينفذ أبنية جديدة لشتى الاغراض، من أبسط بيت سكني الى اعلى برج، أو ناطحة سحاب، أو يصنّع منتوجات جديدة أ، و يبتكر آلات أو أجهزة تخدم الأنسان، والطبيب يعالج المرضى، والمعلم يعلّم ويربى الجيل الصاعد .. الخ . أذن ما هي وظيفة أو مهمة الصحفي بصرف النظر عن الوسيلة الأعلامية التي يعمل فيها ؟

الوظائف والخدمات التي تنهض بها الصحافة و المهام التي يؤديها الصحفي - المواكب للتطور الأعلامي المتسارع في العالم - تتوسع يوما بعد آخر،الا أننا يمكننا القول ان الوظيفة الأساسية للصحفي والتي تغطي كل ما يتبادر الى الذهن من وظائف و مهام وخدمات، هي العمل كوسيط بين المجتمع وبين مصادر المعلومات عن هذا المجتمع وما يحدث فيه، أي أن مهمة الصحفي هي جمع ونشر المعلومات عن الأحداث الراهنة، والاتجاهات وقضايا الناس، وعمل

---

(1) المقصود بمصطلح (الصحفي) هنا، المعنى الواسع له أي الذي يمارس العمل الصحفي في أي وسيلة من وسائل الأعلام ..

ريبورتاجات وتقارير لنشرها، او إذاعتها في وسائل الإعلام المختلفة، مثل الصحف والمجلات الورقية والألكترونية والتلفزيون والإذاعة. وبتعبير آخر ان يسرد للناس عن أنفسهم وكل ما له اهمية في حياتهم، او ما يثير اهتمامهم. و قد يتساءل البعض لماذا على الصحفي ان يفعل ذلك ؟ فنقول، لأن المعلومات الصادقة يساعد الناس في تشكيل آرائهم، واختيار توجهاتهم في الحياة. وتجنب ارتكاب الأخطاء بقدر الأمكان وتحقيق النجاح. ولكن، لماذا يعتبر الصحفي وسيطاً ؟

صحيح ان الصحافة هي مهنة المتاعب أحيانا، عندما يتعلق الأمر بتغطية الأحداث الساخنة ميدانيا أو العمل في مجال الصحافة الأستقصائية . ورغم ان بعض الصحفيين يميل الى المغالاة في تقييم دوره في المجتمع بالقول أنه حامل رسالة سامية أهم من أي رسالة أو مهنة أو وظيفة أخرى . ولكن في واقع الأمر فأن المهمة الأساسية للصحفي هو الحصول على المعلومات ومعالجتها وتقديمها أو عرضها للقراء أو المستمعين أو المشاهدين عل شكل نتاج اعلامي وفق شروط وخصوصيات الوسيلة الأعلامية التي يعمل فيها .

ومن أجل استجلاء المهام التي يقوم بها الصحفي – حسب مجال عمله – لا بد من دراسة الوظائف الأساسية للصحافة أو وسائل الأعلام في المجتمع، مما يساعد على فهم اوضح لدوافع اطلاع المتلقي على ما تقدمه الصحافة .

في عام 1948 حدد هارولد لاسويل (lasswell)[٢] ثلاث وظائف اساسية تقوم بها وسائل الاعلام في المجتمع .

([2]) هارولد دوايت لاسويل (Harold Dwight Lasswell) عالم اجتماع أمريكي (1902- 1978) درس تأثير أجهزة الإعلام على تكوين الرأي العام.

أولاً- ابقاء الجمهور على علم بالتطورات من خلال مراقبة البيئة المحيطة .

ثانياً –عرض الاجزاء المختلفة للبيئة المحيطة والذي يساعد المستهلكين على فهم بنيتها ككل ويتيح لهم ربط تلك الاجزاء وتكوين صورة اوضح لتلك البيئة .

ثالثا – نقل التراث الاجتماعي الى الاجيال الجديدة من المستهلكين، وهي وظيفة في غاية الأهمية، لأنها السد المنيع امام الغزو الثقافي أو فرض اسلوب حياتي خارجي على مجتمع معين يتناقض مع تراثه الأجتماعي وهويته الثقافية .

وقد أشار عدد من الباحثين الغربيين الى وظائف أخرى مثل التوجيه والتوعية والترويج للسلع والخدمات التجارية (الوظيفة الأعلانية). ولا نريد الأسترسال في عرض هذه الآراء، بل نفضل تلخيصها في الوظائف الرئيسية التالية:

1 – الوظيفة الأعلامية والأخبارية

تزويد المتلقي بالأخبار والتقارير عن الأحداث المحلية والخارجية مع مراعاة معايير الموضوعية والأمانة. وهذه الوظيفة لم تعد حكرا على الصحافة التقليدية، بل ان الصحافة الرقمية الجديدة أسرع في تقديمها – مجانا في معظم الأحيان – وبالصوت والصورة قي آن واحد .

2 – الوظيفة التنويرية أو التوعية والتوجيه

تقديم جوانب شتى من المعرفة والآراء و الأتجاهات الفكرية والسياسية ووجهات النظر التي تساعد القاريء على تثقيف ذاته،وزيادة معلوماته في شتى المجالات .

3 – وظيفة التسلية والترفيه

وهي وظيفة مهمة تدل على ان العديد من افراد المجتمع يستخدم وسائل الاعلام للأستمتاع والترويح عن النفس ووسيلة لتحقيق التوازن النفسي والعقلي لهم .

التسلية هي الوظيفة الرئيسية، وربما الوحيدة لـ (الصحف الشعبية) وصحف (التابلويد)، ناهيك عن(الصحف الصفراء)، ولكن هذا لا يعني ان هذه الوظيفة تقتصرعلى هذه الأشكال من الصحافة الخفيفة، التي لا تتطلب جهدا ذهنيا من المتلقي، بل ان الصحافة الجادة والرصينة تقدمها أيضاً ولكن بجرعات محددة لا تغطي على وظائفها الأعلامية والتنويرية .

4 – الوظيفة الأعلانية

وهي الوظيفة الرئيسية للصحافة التجارية (الأعلانية) أو للقنوات التلفزيونية الترفيهية ، التي تسعي لتحقيق اقصى ما يمكن من مردودات مالية . واحدى وظائف الصحف الرصينة.

ففي ظروف اقتصاد السوق، لا يمكن لأي صحيفة أن تعيش الا اذا كانت تلقى الرواج ولها موارد كافية من الأعلان الذي يسهم في تغطية تكاليف أصدارها، لتصل الي القارئ بسعر يقلعن تكلفتها الفعلية. ولولا الأعلان لأختفى من الوجود معظم الصحف والقنوات التلفزيونية الخاصة غير المدعومة مالياً من الدولة أوأي جهة أخرى.

ولكن أداء أي وظيفة من هذه الوظائف أوالعمل الصحفي يتطلب جمع المعلومات ومعالجتها بموضوعية وأمانة وشفافية ومن ثم تقديمها كنتاج صحفي في نمط معين من أنماط الصحافة.

العمل الصحفي الحقيقي يتطلب موهبة و أحيانا شجاعة عند التغطية الميدانية للأحداث في المناطق الساخنة او القيام بتحقيقات صحفية أستقصائية. ومع ذلك فأن مصطلح «الصحفي» مرن ورحب .فالمذيعة التي تقدم عرضا لحالة الطقس أو أسهم الشركات أو أخبار الرياضة من حقها ان تقول انها صحفية أيضاً، فالمهنة الصحفية واسعة متنوعة المجالات والتخصصات والأشكال .

ولكن ماذا عن مصطلح «السلطة الرابعة» التي تطلق على الصحافة ؟

حقا ان من الصعوبة بمكان ان تتناغم السلطة مع دور الوسيط. وارى ان سلطة الصحفي ووسائل الاعلام عموماً هي التأثير في الرأي العام والأسهام في تشكيله و النفاذ الى قلوب وعقول الناس، و يا لها من مهمة نبيلة . ولكن لا ينبغي بأي حال من الأحوال للصحفي ان يفهم مصطلح «السلطة» بالمعنى الفعلي للكلمة . لأن الصحفي لا يمتلك سلطة أو أليات من أجل تحويل كلماته الى أمر واقع .

الصحفي والسياسة

يمكن القول أنّ ثمّة اليوم ثلاث مدارس في الصحافة العالمية حول علاقة الصحفى بالسياسة:

الأولى: «المدرسة الأميركية» التى ترى عدم جواز الأنحياز السياسى للصحفى. وثمة العديد من المؤسسات الاعلامية الأميركية، التى تمنع الصحفيين العاملين لديها من الكشف عن ميولهم السياسية خارج اطار العمل بهدف الحفاظ على موضوعية واستقلالية المؤسسة. وبحسب مجلة «النيويوركر» الأميركية، فان الكثير من الصحف في الولايات المتحدة لا تسمح للصحفيين بالتعبير عن آرائهم العامة أوالمشاركة في التظاهرات أوتعليق رموز انتخابية أو ملصقات على خلفية سياراتهم، وتؤكد ضرورة إلتزام الصحفى جانب الحياد عندما يغطى أى تظاهرة او مؤتمر حزبى او اى نشاط سياسى آخر، وعليه ان يكون متوازناً في تغطية الأحداث، وينشر الآراء المختلفة، لأنه لو أنحاز الى جهة ما فأنه يفقد مصداقيته وقراءه من ذوى الأنتماءات السياسية الأخرى .

ولقد بالغ رئيس تحرير صحيفة (الواشنطن بوسط – Washington Post) في هذا الأمر كثيراً، الى درجة أنه رفض الأدلاء بصوته في الأنتخابات الرئاسية لكى لا ينتهك مبدأ عدم الأنتماء السياسى للصحفى، مؤكداً ان الدور الاعلامى الذى يلعبه الصحفى يحول بينه وبين الأنحياز السياسى ليوفر لنفسه ولقراءه فرصة أوسع من التحليل الموضوعى لشتى الأحداث والمواقف من غير تدخل الميول السياسية والمزاج الشخصي .

وترى هذه المدرسة، ان العمل الأعلامى هو أحد ميادين التحليل والحكم الدقيق وهو عالمى ووطنى اكثر مما هو فئوي أو أيديولوجى. فهو كالقضاء المستقل - بطبيعته الداخلية - يرفض ان يتماهى مع الأنتماء السياسى المحدود.

الثانية: «المدرسة الأوروبية» التى لا تمانع أن يكون للصحفى انتماء سياسى خارج اطار العمل، على ان يلتزم بالمعايير المهنية للصحافة المستقلة، لأن الكثيرين من أفراد المجتمع - اي مجتمع - لديهم ميول سياسية، ولا ضير ان يكون للصحفى أيضاً رأي سياسى أو حتى انتماء سياسى، ولكن العيب والخطا هو أن يتم تغطية الاخبار والاحداث ليس كما تقع على ارض الواقع، وانما كما يهوى الصحفى، أو ما يحقق أغراض الجهة التى ينتمى اليها او للوسيلة الأعلامية التى يعمل فيها . فالمطلوب اذن وعى الصحفى لأدوات ومعايير العمل الصحفى وأدراكه لدور الصحافة والتزامه بالمصداقية والحيادية أي ان يكون الانتماء السياسى خارج العمل الاعلامى المهنى.

الثالثة: هى «مدرسة عالمية» تقسم الصحافة الى نوعين،

الأول: صحافة بلا موقف سياسى: وهى الصحافة، التى لا تعبر عن اتجاه سياسى معين، أو تتبنى أيديولوجية بعينها، وأنما تفتح صفحاتها لكل الآراء والأتجاهات السياسية، والأجتماعية ولكل أصحاب الرأي على أختلاف رؤاهم. وتركز على الموضوعات، التى تهم القاريء العادي وتخاطب عواطفه بالدرجة الأولى ، كالجرائم والجنس والرياضة وأخبار المجتمع وفضائح المشاهير والأحداث الطريفة والغريبة والمسلية .

الثانى: صحافة ذات موقف سياسى:

لكل صحيفة بصرف النظرعن حجم انتشارها سياسة ما. ويلعب تمويل الصحيفة دوراً لا يستهان به في تحديد سياستها التحريرية ومواقفها من قضايا المجتمع. وتنتمى غالبية الصحف الصادرة في أوروبا الشرقية والبلدان النامية الى هذا النوع من الصحافة تحديدا، على خلاف الصحف الغربية ذات الأتجاه السياسى، التى تتسم بالمهنية ولا تخلط بين الصحافة والسياسة، بل تلتزم بأخلاقيات العمل الصحفى ، وفي مقدمتها صحافة النخب المؤثرة في المجتمع، التى تتسم موضوعاتها بالدقة والموضوعية وتتصف معالجتها للأحداث بالأتزان، وتميل الى التحليل المعمق للأحداث السياسية المحلية والدولية، وتتجنب نشر الفضائح، الا اذا كانت لها أهمية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، ولعل خير مثال على هذا النوع من الصحف، هى صحيفة «الغارديان» البريطانية، التى يرى خبراء الصحافة، أنها الجريدة الليبرالية الأولى في العالم، الا أنها أنتقدت بشدة الأدارة الأميركية الليبرالية عند نشرها وثائق «سنودين» وجسدت بذلك القيمة الأكثر أهمية في العمل الصحفي وهي الأمانة المهنية .. وأنها على استعداد لإلحاق الضرر بالتيار الذي تمثله باسم الحقيقة. وهى تدافع ليس عن المصالح السياسية لحلفائها، بل عن المساءلة والشفافية في الحكومة، وتوازن السلطة، وحق الشعب في أن يعرف، مع الحرص على عدم أنتهاك الخصوصية الشخصية .

الحياد الأعلامي

صفة الحياد مبدأ أساسى من مبادىء الصحافة المستقلة، تماما كالجهاز القضائي، فالقاضي المنحاز لأحد طرفي القضية تنتفي

صفة الحياد منه، و يعتبرغير جدير بممارسة مهنة القضاء، لأن هدف القاضي هو التحري عن الحقيقة واقامة العدل وانصاف المظلوم .

الأخلاقيات المهنية تتطلب تطبيق القيم الأعلامية الرئيسة بمصداقية ودقة لضمان تغطيات محايدة تعكس تنوع الآراء ووجهات النظر المتعددة، وعلى نحو متوازن، والتحقق من عدم وجود جهة لم يتم عكس آرائها بشكل منصف، وتجنب ما يسىء الى قسم من الجمهور المتلقى، والتعامل بأمانة مع مصادر المعلومات، واتاحة الفرصة للرد من قبل من يمسهم الموضوع.

واذا اراد الصحفى أبداء وجهة نظره الخاصة حول مسألة سياسية فأن المجال مفتوح أمامه من خلال مواد الرأى الحرة أو الموجهة، التى قد تكون على شكل مقالات أو أعمدة صحفية تتيح لكاتبها حرية أضفاء مواقفه الأيديولوجية وانطباعاته الشخصية على الحدث .

ولكن الممارسات الصحفية في شتى أنحاء العالم تثبت با لا يدع مجالا للشك ان هذا المبدأ يكاد أن يكون غير قابل للتطبيق من الناحية العملية، حتى ان بعض منظرى الأعلام ينفى وجود الحياد الإعلامى أصلاً. وكما أشرنا آنفاً، فأن لكل وسيلة إعلامية سواء كانت حكومية أو حزبية او خاصة سياستها التحريرية التى تعبر عن مصلحة مالكها أو الجهة الممولة لها . والحياد لايمكن توافره في ظل وجود مصلحة مادية أو سياسية.

وبقدر تعلق الأمر بالصحفى نفسه، الذى يغطى الأحداث السياسية ، ليس من السهل عليه أن يكون محايداً دائما .افهو ليس

مجردا من الحس الأجتماعى والرؤية السياسية، وليس بانسان آلى يقوم بنقل الأخبار فقط، بل هو شخص يعايش الحدث أكثر من الآخرين .

وفي الوقت نفسه فأن الحياد الأعلامى المنشود وثيق الصلة بمدى الحرية التى يتمتع بها الصحفى في تغطيته للأحداث، أو تناول أي موضوع يراه مهما، فهو لا يمكن ان يكون حياديا عند تغطيته للأحداث السياسية، مع وجود خطوط حمراء لا يمكنه الأقتراب منها، أو مصلحة تفرض عليه حجب بعض الحقائق .

هل عفا الزمن على قاعدة (الخبر مقدس والرأي حر) ؟

في نظرية الأعلام قاعدة تقول أن (الخبر مقدس والرأي حر) ويتبغى الفصل التام بينهما. فالخبر يكتسب صفة القدسية، من واقعيته، وحقيقة حدوثه، ولا بد من التحري الدقيق قبل نشره ، لأن دور الصحفى هو تغطية الخبر بصدق وأمانة و ايصاله للمتلقى دون تشويه او تحريف ، او محاولة تطويعه لسياسة الوسيلة الأعلامية التى يعمل فيها، فطالما هناك حدث، مهما كانت درجة خطورته أو تأثير تداعياته، يجب ان يعرفه المواطن، فهذا حق من حقوقه (المواطن) وواجب الصحافة في آن واحد .

ولكن البعض يجادل بأن هذه القاعدة قد عفا عليها الزمن، وأصبحت بالية في عصرنا الراهن، ولا يتقيد بها معظم الأعلاميين حاليا، بل على النقيض من ذلك، كل الأخبار تحمل اليوم رأياً، وان الحدث الواحد يعرض في وسائل الأعلام بصيغ مختلفة، وكل صيغة تستبطن رأياً، أو توجها تسيّس الخبر حسب رؤية الوسيلة الأعلامية للحدث .

والحق ان الخبر الذى لا يحمل رأيا لا يجذب الأنتباه، لأن الجمهور غير متجانس في ميوله السياسية، وتوجهاته الفكرية، وخلفياته الثقافية، وغير محايد، كما وسائل الأعلام، فهو يبحث عن الوسيلة الأعلامية التى تدعم ميوله السياسية، وتتفق مع توجهاته الأيديولوجية. وأى وسيلة اعلام تعمل بمبدأ الحياد ستلقى الأعراض من الجمهور وتكون بضاعتها كاسدة .

إن تجريد الخبر عن قدسيته لصالح الرأي يتجلى بأوضح صوره في البرامج النقاشية للقنوات الفضائية، عبر استضافة المحللين السياسيين الذين تنسجم توجهاتهم السياسية والفكرية مع سياسة تلك القنوات، حيث نرى كل واحد منهم يتناول الخبر الواحد من زاوية معينة، وقد يصل الأمر بهم الى التقليل من اهمية الخبر مدار الجدل أو حتى التشكيك في صحته. ونرى على هذا النحو ان الرأي يطغى على الخبر، وتضيع الحقيقة في خضم التحليل. والفضائيات تمنح للرأى مساحة ووقتاً أكبر بكثير من مساحة ووقت عرض الخبر، وبذلك تعبرعن وجهة نظرها في الحدث على نحو غير مباشر .

بين صحافتين جيدة وسيئة

في سنة 1852 كتب رئيس تحرير جريدة «التايمز» اللندنية يقول: «ان الواجب الأساسى للصحافة هو الحصول على أحدث وأدق المعلومات عن الأحداث ونشرها على الفور، بحيث تصبح ملكاً للأمة بأسرها». ورغم مرور (165) سنة على هذه المقولة فأنها ما زالت صحيحة وتشكل حداً فاصلاً بين الصحافة المهنية الناضجة، وبين أنواع أخرى عديدة من الصحافة اللامهنية، وأصبحت أكثر أهمية في عصر عولمة الأتصالات، التي أتاحت نشر أحدث المعلومات لحظة بلحظة عبر وسائل تقنية متطورة .

فالمحك الحقيقي لأية صحافة، هو مدى دقة ومصداقية المعلومات المنشورة، فالصحافة الجيدة، تتحرى الحقائق وتتأكد من مصادرها، وتثقف جمهور القراء بما تنشره من تحليلات وآراء وتحقيقات وأستقصاءات.

الصحافة المهنية وصحافة البروباغاندا

الصحافة المهنية بمفهومها الحديث، هي تلك التي تلقي الأضواء على ما يحدث في المجتمع والعالم من احداث وتطورات أولاً بأول، وبكل موضوعية، وتراقب الأداء الحكومي وتكشف عن مكامن الخلل فيه، ليس من أجل النيل منه، بل في سبيل لفت أنظار الحكومة والرأي العام اليها وتنشر التحليلات المتعمقة والمفيدة لوجهات نظر متباينة وليس لوجهة نظر واحدة. صحافة شفافة

تحترم جمهورها وتلتزم بالمعايير الأخلاقية والقانونية للعمل الصحفي وتراجع أعمالها وتصحح مسارها اذا دعت الحاجة الى ذلك .

الصحافة المهنية وليدة الديمقراطية، نشأت وتطورت مع نشؤ وتطور الديمقراطية الغربية وفصل واستقلال السلطات التنفيذية، والتشريعية، والقضائية عن بعضها البعض. ومن دون وجود هذه السلطات الثلاث المستقلة لا يمكن تصور وجود صحافة مهنية حرة ومستقلة.

هذا الفصل بين السلطات أمر جوهري للغاية . ففي النظم الشمولية هناك سلطة واحدة فقط هى السلطة التنفيذية، التى تهيمن على السلطتين التشريعية والقضائية ولا توجد صحافة حقيقية، وان وجدت فهى (بروباغاندا) أو دعاية سياسية لرأس النظام وللحزب الحاكم.

هكذا كان الأمر في ألمانيا الهتلرية و روسيا الستالينية والعراق الصدامى وليبيا القذافي، وهذا هو حال الصحافة اليوم في معظم الجمهوريات السوفيتية السابقة وفي روسيا البوتينية نفسها .

الصحافة بالمفهوم العلمي لهذا المصطلح لا يمكنها ان تعيش الا في أجواء الحرية والشفافية والعلنية.

ففى ظل النظام السوفييتى كانت ثمة (صحف) تتباهى بأنها تطبع وتوزع ملايين النسخ يومياً ومنها صحيفة (البرافدا) أى (الحقيقة) التى كانت تعتبر نفسها الصحيفة الأكثر توزيعاً في العالم. وعندما كنت في موسكو خلال الستينات من القرن الماضى وفي زياراتى التالية لها، كنت أرى وأسمع غالبا كيف يتهكم القراء الروس على صحيفة (البرافدا – الحقيقة) قائلين: ان «لا حقيقة في صحيفة

الحقيقة». ولم تكن الصحف السوفيتية الأخرى الا تنويعاًت على ما تنشره (البرافدا) ولا أحد من الصحفيين السوفييت – وبينهم عدد كبير من الصحفيين الشرفاء المخلصين لمهنتهم والذين بلغوا مرتبة رفيعة من الأحترافية – كان قادراً على قول الحقيقة كما هى، وان فعل ذلك، يفصل من وظيفته، أو يلقى به في غياهب السجون . وفي أفضل الأحوال كان مصير ما يكتبه الى سلة المهملات.

ولم تكن صحافة صدام أفضل من (الصحافة) السوفيتية، ان لم تكن أسوأ بكثير .

في الثمانينات من القرن الماضى، قال لى صديق بولونى مثقف كان مديرا لمكتب شركة (بول سيرفس) البولونية في العراق – وهى الشركة التى وضعت التصميم الأساسى لمدينة بغداد – وكان يتابع بحكم وظيفته ما تنشره الصحافة العراقية، قال لي هذا الصديق: «أنا لا أفهم لماذا لا تصدر الحكومة صحيفة يومية واحدة فقط توفيراً للجهد والمال، لأن الصحف اليومية الخمس التى تصدر الآن، متشابهة المحتوى تماما ولا تختلف الا من حيث الشكل والأخراج، وكلها تتحدث عن صدام و تزين صفحاتها الرئيسية بصوره.

وصفوة القول ان التعددية السياسية والفكرية وحرية الرأى والتعبير ضرورية للصحافة المهنية كالهواء للأنسان ولا قيمة لصحافة لا تستطيع قول الحقيقة.

صحافة (البروباغاندا) بكافة أشكالها وصورها، صحافة تعتاش على التضليل المتعمد للجمهور وحجب او تشويه الحقائق وتجميل النظام الشمولى الحاكم وتلميع صورة القائد الضرورة أو الأخ الأكبر– حسب اورويل – وتبرير افعاله مهما كانت شنيعة .

هذا النوع من الصحافة ليست مقصورة على الصحافة الرسمية للأنظمة الشمولية، بل تشمل الصحافة الأهلية المنحازة وصحافة المعارضة المؤدلجة خاصة في بلدان الشرق الأوسط، عندما تنتهج خطا ايديولوجيا واحدا ومحدداً، وتفسر كل شيء بمقتضاه، ولا تنشر الا ما يؤيد وجهة نظرها، متجاهلة الآراء الأخرى. وتنتقد السلطة بأستمرار وتتحامل عليها ولا ترى الا جانباً واحداً من اعمالها، وهو الجانب السلبى.

مثل هذه الصحافة تدعى الأستقلالية بذريعة أنها غير تابعة للدولة. ولكن استقلالية الصحافة لا تعنى فقط عدم تبعيتها للدولة او جهة ما، بل عدم انحيازها في سياستها التحريرية.

ونرى أحيانا ان الصحافة الحزبية الجادة، أكثر موضوعية من بعض الصحف التى تدعى الأستقلالية، لذا فأن تقسيم الصحافة الى صحافة حكومية أو حزبية، وصحافة أهلية (مستقلة)، أمر غير صائب، لأن المحك الحقيقى للصحافة هى مدى الألتزام بالمعايير المهنية والأخلاقية للصحافة .

الصحافة الجادة والصحافة الشعبية

يرى بعض خبراء ومنظري الصحافة أن ثمة نوعين من الصحافة هما :

الصحافة الجادة أو الرصينة والصحافة الشعبية أو صحافة التابلويد (Tabloid) أ و الصحافة الصفراء .وهذه الألوان الثلاثة الأخيرة، متقاربة ومتشابهة من حيث المحتوى وان أختلفت في أخراجها ودرجة (اصفرارها).

تتميز الصحافة الجادة بغلبة المعالجات الصحفية التحليلية (المقالات، تقارير المراسلين، النقد الأدبى والفنى، عرض الكتب، التلعليقات). وهذا لا يعنى أنها لا تهتم بآخر الأخبار، فتقارير المراسين تكون في العادة من مواقع الأحداث مباشرة، أضافة الى ما تبثه وكالات الأنباء العالمية، وهى تلتزم المعايير الأخلاقية للعمل الصحفى، وتتوجه أساساً الى أفراد النخبة الواعية في المجتمع - وهم في الأغلب الأعم من المثقفين والساسة ورجال الأعمال والمديرين ... الخ - حيث تقدم لهم نظرة متعمقة للظواهر والأحداث تستند الى معلومات موثوقة تساعدهم في تشكيل قناعاتهم وآرائهم وتسمح لهم بأتخاذ قرارات صائبة في مجالات عملهم وفي حياتهم اليومية وتساعدهم في تكوين قناعاتهم خلال الأنتخابات والأستفتاءات.

النخب المثقفة في الدول الأوروبية المتقدمة وخاصة في بريطانيا تحرص على اقتناء الصحف الجادة وليس صحف التابلويد، حتى لا تصنف نفسها ضمن الباحثين عن ثقافة الإثارة.

وتعد صحيفة (الغارديان) البريطانية نموذجاً رفيعاً للصحافة الجادة الى جانب صحف أنجليزية أخرى .

وفي فرنسا هناك صحيفة لوموند (Le Monde) الرصينة التى حازت ثقة الأوساط الثقافية والأكاديمية بما تنشره من معلومات موثوقة وما تتميز به تحليلاتها من موضوعية ومهنية رفيعة ، الى درجة ان أساتذة وطلبة الجامعات الفرنسية يستخدمون موادها المنشورة كمراجع دراسية، كما تتسم خصائصها الطباعية واخراجها الصحفى بمستوى عال من الحرفية الفنية وهى تفضل غالباً التعليقات النصية على الصور المثيرة وتصدر بحجم (A2)

أما الصحافة الشعبية أوصحافة التابلويد او الصحافة الصفراء، فأنها تهدف في المقام الأول الى تحقيق أقصى ما يمكن من أرباح بصرف النظر عن المعايير الأخلاقية الصحفية، وتتميز بسياستها التحريرية الهابطة ولغتها الصحفية المبتذلة و بقطعها وشكلها المستطيل غالباً، وتصميم أخراجها وحروفها المطبعية الكبيرة، بحيث يعرفها القارئ من النظرة العجلى . صحافة تدغدغ مشاعر القراء وتكثر من نشر الصور الملونة الجذابة للمشاهير، والعناوين الخادعة واستعمال المختصرات، وتميل إلى معالجة الموضوعات المثيرة. وهى موجهة أصلا الى الجمهور العام الذي ينشد الترفيه، وتجذبه فضائح المشاهير والجرائم الشاذة وغرائب الأخبار، و طرائف النوادر، وتوافه المعارف .

وقد تطور هذا النوع من الصحف بمرور الزمن واصبح أصغر حجماً من اجل اجتذاب مسافري السكك الحديد وقطارات الأنفاق والحافلات ل، أن الصحف التقليدية تأخذ حيزاً كبيرا بين يدي القارئ، وربما يضايق بذلك الآخرين في المقاعد المجاورة أو يثير فضولهم لقراءة الصحيفة التى أقتناها الراكب لنفسه .

صحافة جيدة ... صحافة سيئة

يرى الصحفى البريطانى البارز ديفيد راندال» David Randall «في كتابه القيم» الصحفى الشامل «إن هناك نوعين فقط من الصحافة: جيدة ، وسيئة . ويقول في هذا الصدد» ليست هناك صحافة غربية او شرقية، ولا صحافة أميركية أو روسية أو فرنسية أو بريطانية أو بولونية أو عربية.

كما لا توجد صحافة ليبرالية أو ماركسية او محافظة أو جمهورية أو ديمقراطية، ثمة فقط صحافة جيدة وأخرى سيئة، وكلتاهما عابرة للقارات ولا تعرف حدوداً جغرافية ويمكن أن تكون بأية لغة من لغات العالم .

ومقابل كل صحفي جيد، مخلص لمهنته وملتزم بالمعايير الأخلاقية للعمل الصحفي، ثمة صحفي ينتقى الأخبار والمعلومات ويعالجها بما يرضي رؤسائه لا الحقيقةً، وكلاهما يتسم بطابع عالمي، أي انهما موجودان في كل أنحاء العالم .

وبطبيعة الحال فأن لكل شعب ثقافته وتقاليده ولكل لغة صوتها المميز. ولكن ما يوحد الصحفيين الجيدين في جميع أنحاء العالم أكثر عمقاً وأهميةً مما يفرقهم .

أن ظروف عمل الصحفيين تتباين في البلدان المختلفة ومن بلد الى بلد، ففي الأنظمة الشمولية يعمل الصحفيون في ظل الرقابة الحكومية على وسائل الأعلام وبضمنها الصحافة الورقية ولا يحصلون على المعلومات الحقيقية الا بشق الأنفس، كما استخراج حبات الذهب من رمال النهر .

في حين أصبحت الرقابة في الدول الديمقراطية من تراث الماضي، حيث التدفق الحر الهائل للمعلومات من دون قيود أو حدو.

البعض يكتب في صحيفة تصدر بأربع صفحات والبعض الآخر في صحيفة تصدر بمائة صفحة مع الملاحق، ينؤ القارىء بحملها ناهيك عن قراءتها .... ولكن الصحفيين الجيدين، أينما كانوا يسعون دائماً الى ان تكون صحفهم، صحافة مهنية ذكية مبنية على

الحقائق: صحافة صادقة المقصد وتخدم هدفاً واحداً: الحقيقة دون تحريف أو تشويه أو مبالغة. صحافة تخاطب القراء أيا كانوا، ومهما كانت انتماءاتهم وتوجهاتهم .

هذا الهدف العام يجمع الصحفيين الجيدين ويوثق بينهم أواصر الزمالة الحقة أكثر من أي شيء آخر مثل محل الولادة أو الأقامة . ويستثنى من ذلك الذين يتعجلون الحكم بدلاً من اكتشاف الحقيقة، هؤلاء لا يبحثون الا عن مصالحهم بدلا من مصالح القراء. اولئك الذين يفضلون التعليق والتأويل على المعلومة الدقيقة والتهكم والأنانية وخرق المعايير المقبولة، على المثل والمبادئ، ويؤثرون لمعالجة الصحفية الضحلة على العمل الشاق والمتعب في البحث عن الحقيقة.

ان الصحافة الجيدة ذكية وممتعة، وموثوقة في معلوماتها، ولا تخدم سوى الحقيقة، وبغض النظر عن القراء، والثقافة، واللغة، والظروف. أما الصحافة السيئة فهى كل ما عداها من أنواع الصحافة، سواء أكانت صحافة (البروباغاندا) أو صحافة الترفيه والتسلية بشتى مسمياتها.

صحافة الأثارة بين اختراق التابوهات وتزييف الواقع

«الصحافة الصفراء» تعبير يتردد كثيراً على ألسنة الناس، قد يقصد البعض بذلك «صحافة الإثارة» سواء كانت الإثارة سياسية أو دينية أو اجتماعية أو جنسية، وقد يُقصد البعض الآخر «الصحافة الشعبية» أو صحف «التابلويد». وهي ثلاثة أشكال من الصحافة «الخفيفة»يصعب وضع حدود فاصلة بينها، لأنها تتشابه الى حد كبير من حيث المضامين والأخراج الفني .

أيا كانت المصطلحات و المفاهيم فإن الجميع يكاد يتفق على أن «الصحافة الصفراء» تفتقر الى الصدقية والموضوعية والمصادر الموثوقة ولا يكلف العاملون فيها أنفسهم عناء التحقق من المعلومات المنشورة ولكنها – رغم ذلك – تلقى هوى ورواجا لدى القراء.

يرى معظم الباحثين، ان «الصحافة الصفراء» ظهرت للمرة الأولى في الولايات المتحدة الأميركة على يد (Ervin Wardman)، حين أصدر صحيفة (New York Press) في أواخر عام (1896م). ولكن «الصحافة الصفراء» لم تلد عن طريق المصادفة، بل ان جذورها تمتد الى الفترة التي شهدت فيها أوروبا تحولات أقتصادية وأجتماعية وثقافية كبرى عقب الثورة الفرنسية (1789 – 1799 م)، ومنها دمقرطة المجتمع والصحافة اثر أنتشار الصناعة، ونشؤ مراكز التجمعات العمالية، وتقدم تكنولوجيا الطباعة والأنتاج الصحفي، وارتفاع مستويات الدخل وظهور الطبقة الوسطى، والقضاء على الأمية لدى السواد الأكبر من أفرادها . كل هذه العوامل مجتمعة ادت الى ظهور قطاعات عريضة من أشباه المثقفين وأنصاف

المتعلمين، الذين لم تعد الصحافة التقليدية الرصينة قادرة على تلبية رغباتهم واذواقهم، مما مهد لظهور ما تسمى «الصحافة الشعبية». التي تعكس الحوادث من وجهة نظر القاريء من الطبقة الوسطى. ولم تعد قراءة الصحف حكراً وأمتيازاً للنخب السياسية والأجتماعية والثقافية. ولكن القاريء العام – وهو قاريء محدود الثقافة وضيّق الأفق – لم يكن يتقبل المقالات الجادة للصحف الرصينة، التي كانت تبدي اهتماما مكثفا بوظائف الصحافة الأساسية في المقام الأول، في حين كان الجمهور يرغب في قراءة نصوص خفيفة من أجل الترفيه والتسلية..

ومنذ ذلك الحين عرف تأريخ الثقافة عموماُ وتأريخ الصحافة على وجه الخصوص، اتجاهين متفاعلين ومتداخلين في أحيان كثيرة وهما «الأتجاه المعرفي» و«الأتجاه الترفيهي» .

«الصحافة الصفراء» تميل الى تغليب الأتجاه الترفيهي على حساب الوظيفة الأعلامية .

وقد تطور هذا النمط الجديد من الصحافة في الفترة اللاحقة و أكتسب ملامحه وسماته المتميزة

في التجربة الصحفية الأميركية منذ العام (1850م) .وأهم ما تمتاز به هذه التجربة هو توسّع «وظائف الصحافة» وعدم اقتصارها على الوظيفة المعرفية والأعلامية، والأهتمام المتزايد بالوظائف الأبداعية والجمالية والترفيهية، التي تسهم في تلبية رغبات القاريء وأمتاعه واسترخاءه وهروبه من مشاكله الشخصية وتأمين المشاركة الفردية في عملية الأتصال .

تسعى «الصحافة الصفراء» الى أستمالة وجذب اكبر عدد من القراء بنشرمواد صحفية خفيفة تتسم بعنصري الأثارة والتشويق، اوالطرافة والغرابة، والتركيزعلى المحرمات (التابوهات) والأخبار المجهلة والشائعات، والفضائح والجرائم، والقصص الخبرية الملفقة، والعناوين الصارخة أو المضللة . وليس ثمة ما يثير اهتمام القاريء وتلهفه أكثر من الأشاعات والأقاويل والفضائح و تفاصيل حميمة من حياة المشاهير. وبطبيعة الحال ينبغي ان يكون في مثل هذه الصحف الكثير من الجنس والوقائع الساخنة والعنف. فالقاريء يشعر بالفرح حين يكتشف ان هذه الجريمة أو تلك المأساة لم تحدث معه شخصيا .

وتتميز هذه الصحافة باستخدام اساليب جذابة في التحرير و الأخراج الفني بما يتلائم واذواق واهتمامات الجمهور العام. وهي صحافة رخيصة الثمن، تبذل كل امكانياتها من اجل أستمالة الجمهور، وزيادة التوزيع الذي يكون دافعا للحصول على عوائد اعلانية ضخمة، ودون النظر لعائد بيع نسخ الصحيفة ذاتها .ويمكن القول ان «الصحافة الصفراء» أسهمت في تحول «الصحافة» الى «صناعة»

والحق ان غالبية الناس لا تهتم كثيراً بالسياسة العالمية ولا بالوضع الاقتصادي الداخلي وتركز في الأساس على المواضيع الشخصية المثيرة. وقد استفاد رجال الأعمال من هذا التغيير لجني الأرباح، كما أستفاد منه رجال السياسة الذين دروا الأموال على أصحاب القلم لكتابة مقالات تزور الحقائق وتقلب المعلومات رأساً على عقب بهدف النيل من هذه الشخصية السياسية أو تلك.

في يومنا هذا لا توجد حدود فاصلة وواضحة بين «الصحافة الصفراء» و «الصحافة الرصينة» حيث تظهر بعض ملامح الصحف

الصفراء الى هذا الحد او ذاك في « الصحف الرصينة» التي تخاطب المثقفين. وقد تثير الصحف «الرخيصة» احيانا مشاكل اجتماعية خطيرة.

صحف الأثارة فى العراق والعالم العربي

«الصحافة الصفراء» في الغرب صناعة متطورة تدر مليارات الدولارات سنوياً، وتتمتع بحرية واسعة في ظل الأنظمة الليبرالية، وبوسعها تناول شتى الموضوعات المثيرة وفي مقدمتها العلاقات الحميمة للمشاهير ونجوم المجتمع وتصيَد أخبارهم وأسرارهم عن طريق التلصص على حياتهم الخاصة، ونشركل ما يلهب خيال القاريء، محدود الثقافة. ومن خلال متابعتنا للصحافة العراقية والعربية نرى عدم وجود «صحافة صفراء» بالمعنى الدقيق للمصطلح في العراق و العالم العربي في الوقت الراهن، وانما هناك بعض العناصر والملامح الصفراء، التي لم تأخذ مداها الكامل نظراً للبيئة الشرقية المحافظة، التي تحول دون أختراق التابوهات أو تجاوز العادات والتقاليد والأعراف الراسخة للمجتمع .

ولعل من أبرز هذه الملامح الصفراء – التي تقتصر على عدد من الصحف الأهلية أو الخاصة – شيوع ظاهرة الخبر المجهل أو الخبر غير محدد المصدر واحياناُ الخبرغير الصحيح أو الكاذب. ومن تلك الملامح أيضاً اللجؤ الى التهويل والمبالغة في المعالجة الصحفية .وكذلك استخدام العناوين المضللة للأخبار والتقارير وتضمينها معلومات اكبر مما تمتلكه الصحيفة ، أي ان العناوين الصارخة – التي تحتل مساحات كبيرة في مقدمة الصفحة الأولى وحتى في

الصفحات الداخلية – قد لا تكون لها الا علاقة طفيفة أو واهية بمضامين المواد المنشورة .

وعلى اية حال فأن هذه العناصر والملامح التي أخذت تطغي تدريجيا على الصحافة الخاصة العراقية والعربية من اجل زيادة أرقام توزيعها ومردوداتها المالية دليل واضح على تدني الأحترافية المهنية لها قبل أن تكون تقليداً غير ناضج للصحافة الصفراء في الغرب .

الكاريكاتير .. فن يعبّرعن جوهر الأشياء

الكاريكاتير– شكل من أشكال فن الرسم الأكثر جذباً، القائم على المبالغة بالخطوط والريشة، من خلال تحريف الملامح الطبيعية وخصائص شخص مشهور – مع الأحتفاظ ببعض أوجه الشبه به – أو ظاهرة اجتماعية، أو حدث سياسي بهدف التهكم والسخرية، او النقد الأجتماعي والسياسي.

على خلاف المقال الذي يتناول موضوعاً ما- وان كان ساخراً ولاذعاً - فان الرسم الكاريكاتيري المعبرعن المعنى ذاته، مفهوم من الجميع، بصرف النظرعن فئاتهم الأجتماعية ومستواهم الثقافي، لما يتميز به من بساطة في الطرح وعمق في التأثيرالجماهيري. ومن هنا يستمد فن الكاريكاتير قوته كأداة صحفية ساخرة وناقدة في آن، لها القدرة على النقد، بما يفوق الكتابات الساخرة، مهما كانت لاذعة.

ويتضمن الكاريكاتير في العادة حواراً أوتعليقاً قصيراً، أو يكون بدون نص، ويعتمد على المفارقة البصرية، وهذا الأسلوب الأخير كان شائعا في أوائل ظهور الكاريكاتير .

ويرتبط الكاريكاتير السياسي – وهو الأكثر شيوعا والأبلغ تأثيراً من أنواع الكاريكاتير الأخرى - بحدث سياسي مهم، او شخصية مهمة في السلطة، لجذب الأنتباه الى موضوع يشغل الرأي العام مثل الفساد أو الجريمة أو ارتفاع الأسعار وغيرها. وفي العادة فأن الشخص المعني يشعر بالأمتعاض أو عدم الرضا، رغم ان جعل أي شخص مشهور موضوعا للسخرية يبرهن على أهميته ودوره في العملية السياسية .

المقال اوالخبر الذي يمس شخصا ما، يمكن الرد عليه، اما الكاريكاتير فان، الشخص المعني يقف عاجزا عن الرد، لذا يشعر بالحنق والغضب دون ان يستطيع ان يفعل شيئا، ربما بأستثناء اللجؤ الى القضاء في الأنظمة الديمقراطية .

ولكن ليس كل الساسة أو المشاهير يمتعضون من الرسوم الكاريكاتيرية، التي تتناولهم بالنقد والسخرية، فبعضهم قادرعلى الضحك على نفسه. والحق ان القدرة على السخرية من النفس تعني دائما مستوى عاليا من الثقافة، والناس الأصحاء روحياً وذوي الشخصيات القوية هم وحدهم القادرون على الضحك على أنفسهم.

الكاريكاتير يكشف لنا عن انفسنا والعالم من حولنا على نحو بارع ومرح وغير متوقع، وفوق ذلك فأن نوع الفكاهة أو الدعابة يشير الى مستوى الثقافة الروحية لأي شعب أو مجتمع أوعصر.

فن الكاريكاتير، يعكس جوهر الاشياء، وهو فن تطبيقي جد مهم للمجتمع السليم . ليس المهم دائما محتوى الرسم الكاريكاتيري فقط، بل ايضا ردود الفعل، التي تحدثه في المجتمع.

من أجل تقبل او فهم الكاريكاتير عليى الانسان ان يمتلك شيئا من روح الدعابة والفكاهة ويكون مستعدا للابتسام، أو الضحك، وهو ما يميز الأنسان عن الحيوان. والقصص الفكاهية البارعة للكتاب الساخرين يكشف عن ذلك بكل عمق وطرافة .

الكاريكاتير عبر ألتأريخ

ثمة التباس واضح في الكتابات العربية عن هذا الفن، فالباحثون في هذا المجال يخلطون بين الرسوم البدائية -على الصخور لسكان

الكهوف في العصر الحجري، وعلى أوراق البردي والمسلات الفرعونية، أوالرسوم المبالغ بها أو المشوهة بعض الشيء للأنسان والحيوان في العهود السومرية والآشورية والبابلية – وبين الكاريكاتير بالمعني الحقيقي لهذا المصطلح بوصفه فناً مستقلاً. ان كل تلك الرسومات تنتمي الى الفن التشكيلي البدائي، غير أن بعض الكتاب يحملون هذه الصور معاني لم تخطر ببال راسميها، كالسخرية أوالتعريض بالحاكم المستبد.

كان الأعتقاد السائد بين مؤرخي الفن، حتى منتصف القرن التاسع عشر، أن أقدم رسم كاريكاتيري يعود الى زمن الفراعنة، وهو مرسوم على ورق البردي قبل أكثر من ثلاثة آلاف سنة. ويصور أسداً يلعب مع ظباء، لعبة تشبه الداما. وكان هؤلاء المؤرخون يقولون أن الأسد يمثل الفرعون رمسيس الثالث.

ولكن في وقت لاحق ظهرت شكوك حول الشخصية التي يمثلها الأسد، ذلك لأن أحداً لم يكن يتجاسر على السخرية من فرعون مصري معبود، وقد ثبت في ما بعد، ان عهد رمسيس الثالث لا يتزامن مع التاريخ التقريبي لهذا الرسم. وبالإضافة إلى ذلك، فأن صورةالأسد والظباء ليست سوى جزءاً من صورة أكبر، تتضمن أيضاً صور حيوانات أخرى. وربما تعكس هذه الصورة روح الدعابة ولا تنطوي على أية سخرية من أحد.

وهناك رسم مصري قديم آخر، والذي يمكن أن يعتبر نموذجاً بدائياً للكاريكاتير، فعلى جدار معبد ***حتشبسوت*** ثمة صورة تمثل الملك والملكة وهما يستقبلان وفداً مصرياً. وتمتلك الملكة المرسومة بالنحت الغائر، جسداً جميل الشكل، مثيرا للإعجاب، في حين أن

الحمارالمرسوم على جدار قريب والمخصص لحمل زوجات الملك صغير يكاد يكون قزماً .وقد انجز هذا الرسم بين عامي (1458 – 1479) قبل الميلاد. ويعد أقدم رسم ساخر يمثل شخصية تأريخية حقيقية.

الكاريكاتير، اسم مشتق من الكلمة الأيطالية «كاريكير» وتعني ***«يبالغ»*** أو***«يحمّل ما لا يطيق»***

في عام 1590 أطلق أنيبالي كاراتشي الأيطالي وشقيقه أغوستينو هذه اللفظة على رسومات البورتريه، التي رسماها على نحو مبالغ فيه.

وقد جاء في الشرح الذي تركاه، انهما ارادا بتلك الرسوم، التهكم على النظريات الفنية التي درساها في ***الأكاديمية البولونية***. وقد ظل الكاريكاتير شكلاً فنيا ايطاليا رغم ظهور الفنان ***بيتر بروغل الأب*** (1525 – 1569) وآخرون معاصرون له في أوروبا الشمالية، الذين أستخدموا اسلوب المبالغة في لوحات البورتريه ..

البعض يعتقد ان ***ليوناردو دا فينشي***، هو الاب الحقيقي لفن الكاريكاتير، في اشارة الى الرسوم المشوهة، البشعة الشكل، التي رسمها هذا الفنان العظيم .

وبطبيعة الحال فأن الرسوم الكاريكاتيرية الأولى لا تشبه كثيراً الرسوم التي يمكن ان نشاهدها اليوم، فأغلب تلك الصور كانت لرجال برؤوس كبيرة واجسام صغيرة بصورة غير متناسبة .

كان رسام الكاريكاتير في الماضي يمتلك سلطة تفوق سلطة الكاتب كثيراً، ولم تكن الرسوم مصحوبة بكلمات نصية حيث لم تكن

ثمة ضرورة لذلك، لأن المتعلمين كانوا قلة في المجتمع. ولعل أبلغ مثال على هذا النوع من الفن الجرافيكي الساخر، هو الرسم الكاريكاتيري الذي رسمه الفنان البريطاني ***جيمس غيلاري*** (1756- 1815) وصور فيه ***نابليون بونابرت*** (1769-1821) قصيراً جداً ومثيراً للسخرية بقبعة كبيرة الحجم. اليوم، ونتيجة لذلك، فأن نابليون يخيل الينا حتى اليوم، أقصر مما كان عليه في الواقع .

إنتشر الكاريكاتير بعد اختراع يوهان جوتنبرج لآلة الطباعة في العام 1447، وظهور حركة الأصلاح الديني، حيث شرع الفنانون البروتستانت في القرن السادس عشر برسم صور كاريكاتيرية للتعريض ببذخ البابا وثرائه ومقارنته بزهد يسوع المسيح، كما في سلسلة الرسوم الثنائية، من قبيل: «يسوع يغسل أرجل تلاميذه» – «الزوار يقبلون حذاء البابا» و«يسوع يضع على راسه تاجاً من الشوك» – « على راس البابا ثلاثة تيجان ذهبية» وغيرها كثير.

وكان بين رسامي الكاريكاتير البروتستانت، فنانون كبار مثل البريخت دورر ولوكاس كراناتش الأكبر ولم تمر هذه الرسوم الساخنة بسلام، دون ملاحقة واضطهاد مبدعيها .

في فرنسا ازدهر فن الكاريكاتير خلال الثورة الفرنسية، وكان موجها اساسا ضد السلطة الحاكمة، فعلى سبيل المثال ظهرت رسوم تصور الملك لويس السادس عشرعلى هيئة خنزير سمين والملكة انطوانيت على شكل ذئبة أو خنيمة (أنثى النمر). ولم تمر هذه الرسوم بسلام فقد شنت السلطة حملة ضد فناني الكاريكاتير. وكان ذلك أمراً متوقعاً، لأن عدة دول أوروبية أخرى أصدرت منذ أوائل

القرن السادس عشر مجموعة متنوعة من القوانين والمراسيم، التي تحظر نشر وتوزيع الصور التشهيرية.

لم تكن فرنسا استثناءً، فالرقابة فيها لم تلغ، الا بحلول العام 1789، ثم صدر قرار في العام 1791 يمنع نشر الرسوم التحريضية ضد السلطة، وبعد ذلك بعام واحد، تم اعتبار مثل هذه الرسوم جريمة خطيرة .

كانت انجلترا اكثر تسامحاً مع فناني الكاريكاتير، ولم تكن ثمة رقابة فعلية على «***فن الطبقات الأجتماعية الدنيا***» وخاصة بعد معاهدة أميان للسلام (1802) بين انجلترا وفرنسا. وقد انتشرت الرسوم الكاريكاتيرية في انجلترا خاصة خلال فترة شيوع البروباغاندا المعادية لنابليون، اذ حظيت بدعم حكومي.

كان رد فعل نابليون على الصور المسيئة له، المنشورة في انجلترا يتسم بالعصبية، حيث طلب من ملك انجلترا اعتباراصحاب تلك الرسوم من الفنانين الانجليز قتلة ينبغي محاكمتهم .

وفي الولايات المتحدة الأميركية، انتشر الكاريكاتير الصحفي على نطاق واسع بالتزامن مع الدول الأوروبية تقريباً. ومع حلول بداية القرن العشرين أصبح لكل صحيفة أو مجلة أميركية رسام كاريكاتير واحد في الأقل بين العاملين فيها. ومنذ عام 1922 حصل البعض من فناني الكاريكاتير على جائزة «بوليتزر» المرموقة في مجال الصحافة. ومع ذلك فأن الكاريكاتير الأميركي في ذلك الوقت يختلف عن الكاريكاتير الأوروبي الحديث .حيث كان الفنانون الأميركيون يبالغون ليس فقط في تجسيد افعال الأشخاص الحقيقيين، بل ايضاً في التهكم والسخرية من اعاقاتهم الجسدية. وفوق ذلك كانت الصور

ذات قوالب نمطية وطابع عنصري من حيث التركيزعلى خصائص معينة لكل مجموعة بشرية، وهو أمر مرفوض في وقتنا الراهن لدى الشعوب المتحضرة في النظم الديمقراطية .

الكاريكاتير بأستخدام البرامج الجرافيكية

ومنذ شيوع هذا الفن في أوروبا وأميركا، بعد اختراع آلة الطباعة وظهور الصحف والمجلات الورقية، لم يتغير محتواه كثيرا، وانما الذي تغير هو الأداة المستخدمة: الفحم، القلم الرصاص، قلم الحبر، الأقلام الملونة السائلة أو الناعمة. أما اليوم فأن رسامي الكاريكاتير يستخدمون البرامج الجرافيكية الكومبيوترية، مثل

Corel Painter،Adobe Illustrator

كما أن برنامج ***الفوتوشوب*** ادى الى نشوء نوع من الكاريكاتير البارع الذي يركز على تحريف ملامح الشخصيات المشهورة، ويلقى الكاريكاتير المرسوم بأستخدام هذا البرنامج شعبية كبيرة .

الكاريكاتير فطرة مطبوعة

فن الكاريكاتير، كسائر الفنون، فطرة مطبوعة لا خبرة مكسوبة، ومن حاول تعلم هذا الفن بطول المزاولة والممارسة أو بالتحصيل الدراسي وهو لا يجد أصله في فطرته، أضاع جهده ووقته من دون طائل. وحتى الموهبة وحدها غير كافية، خاصة بالنسبة الى فنان الكاريكاتير السياسي.

فهذا الفن لا يتأتى الا لمن يمتلك نظرة ثاقبة الى الأمور وقدرة على النفاذ الى جوهر الظواهر والأحداث والأشخاص. صحيح ان

الواقع هو الملهم لكل الفنانين ولكن الواقع وحده لا يخلق فناناً، لأن فن الكاريكاتير يتطلب امتلاك موهبة المزج المبدع بين الواقع والخيال، والتفرد بأسلوب خاص ومميز لكل فنان. ويبقى هذا الفن في اطار المبادرات الفردية أكثر منه دراسة أكاديمية .

ما الفرق بين الكاريكاتير والرسوم المتحركة (الكارتون)؟

الرسوم المتحركة في العادة هي صور تخطيطية لشخصيات خيالية، وقد ظهرت لأول مرة في

القرن التاسع عشرعلى يد الفنان السويسري رودولف توبفير (1899 – 1846) في محاولة لخلق طريقة جديدة ورائدة في رواية القصص المرحة سواء في كتب الفكاهة المصورة الحديثة، أو نشرها في الصحف اليومية .

كانت مثل هذه الرسوم تنجز بسرعة مع بذل جهد قليل .على النقيض من الرسوم الكاريكاتيرية الساخرة أوالهجائية، التي كانت تبذل من اجل انجازها جهوداً مضنية وتلون باليد وتطبع على ورق صقيل. وفي العادة، فأن الكاريكاتير الملون ينجز بحرفية عالية، من اجل توضيح المادة الصحفية المنشورة على نحو أفضل من الرسوم المتحركة. وما يزال هذا الأختلاف قائماً حتى اليوم.

وبالطبع لا شيء يبقى على حاله، فمع اختراع جهاز الكومبيوتر، ومن ثمّ تطبيقاته المدهشة، قام فنانوا الرسوم المتحركة بتوسيع نطاق هذا الجنس الفني من خلال خلق صور كرتون متطورة، معقدة للغاية، لا سيما، الخيالية منها .

الفنان البريطاني جايلز (1916-1995)، الذي نال شهرة واسعة، بفضل عمله في صحيفة ديلي اكسبريس،ابتدع الكارتون السياسي مقابل الكاريكاتير، وخلق ما يسمى «اسرة الكرتون الخيالية» التي تهيمن عليها الجدة المبهمة والتي تعد مثالا على هذا النوع من الكارتون.

كانت «الجدة المبهمة» تعلّق في كثير من الاحيان على السياسة البريطانية والعالمية المعاصرة، ولكن ضمن بيئة خيالية ولم ينجز أى كارتون لأشخاص من واقع الحياة. وعلى الرغم من هذا الاختلاف الواضح، فإن مصطلح «الرسوم المتحركة» لا يزال يستخدم كمرادف شائع لمصطلح «الكاريكاتير».

العلاقة الملتبسة بين الأعلام والأرهاب

تستغل التنظيمات الأرهابية وسائل الأعلام الألكترونية وعلى رأسها شبكات التواصل الأجتماعي التفاعلية (فيسبوك، تويتر، يوتيوب) كمنصات لبث أفكارها المسمومة، وأخبارها الملفقة، وتنفيذ أجندتها، بسبب الأنتشار الواسع لهذه المواقع وسهولة استخدامها، وامكانية تخطى الحواجز السياسية والجغرافية في عملية الأتصال المجاني الفوري بين اعضاء التنظيمات الأرهابية والتنسيق فيما بينهم، والكم الهائل من المعلومات التي يمكن تبادلها. هذه التنظيمات تدرك جيداً ان استراتيجيتها الأعلامية الحرفية المتميزة تساعدها في تحقيق أهدافها الجهنمية.

الأرهاب يتسلح بالأعلام الجديد عموماً والأجتماعي منه خصوصاً من اجل تحقيق عدة أهداف في آن واحد وهي:

1- الوصول إلى الرأي العام والترويج لأيديولوجيته والدعاية لفكره الظلامي المتطرف.

2 - استعراض قوته، واضفاء هالة مزيفة على فعالياته الأجرامية، وتضخيم قدراته واظهارها بشكل أكبر من حجمها الحقيقي، ونشر أجواء الخوف والرعب بين الجماهير المستهدفة .

3 بث اليأس والأحباط بين عناصر قوى الأمن .وكشف ضعف اوعجز الحكومة المستهدفة عن حماية مؤسساتها ومواطنيها وعن ضمان الأمن والأستقرار .

4- حشد المناصرين وتجنيد الشباب من مختلف أنحاء العالم لديمومة بقاء تنظيماته الإرهابية .

5- نشر ارشادات تشرح وسائل الاتصالات السرية وطرق صنع المتفجرات وتفخيخ السيارات وزرع الألغام والأسلحة الكيمياوية .

6 – جمع التبرعات عن طريق الأنترنيت من المستخدمين ذوي الميول المتطرفة او من الآخرين بأساليب الخداع والأحتيال .

وتختلف الجماعات الأرهابية في اعطاء الأولوية لهذا الهدف او ذاك، فعلى سبيل المثال نرى ان تنظيم داعش يركز على استعراض قوته وصدم الناس وترويعهم بوحشيته وأساليبه الدموية، والنيل من معنويات القوات الأمنية العراقية، واستدراج الشباب المسلم أينما كان، وغسل أدمغت هم وحشوها بالغيبيات والخرافات والأباطيل من قبيل ترغيب وتحبيب الموت اليهم كطريق لدخول الجنة حيث سيغنم كل واحد منهم باربعين حورية وعد بهن .

دور الأعلام العربي في الترويج لداعش وبث الرعب في النفوس

يسهم قطاع عريض من الأعلام العربي، في بث سموم داعش، عندما يقوم بنقل أخبار التنظيم على نحو غير موضوعي، وبث ما تنتجه ماكنة البروباجاندا الداعشية من مواد إعلامية - فاقت في تطرفها كل ما عرفته البشرية من وسائل الحرب النفسية-، مثل الصور ومقاطع الفيديو عن قطع الرؤوس، وقتل المدنيين العزل، وتدمير المعابد والأضرحة والمعالم الأثرية ودور العلم. ونحن لا نقصد هنا الأعلام الناطق بأسم الجهات المساندة لداعش فقط، التي تشن حرباً اعلامية ونفسية هدفها اشاعة اليأس والأحباط في النفوس، بل أيضاً اعلام الأثارة التجاري، الذي يهدف الى الحصول على المال، ولا يهتم كثيراً بالتأثير النفسي السيء لما ينشره من اشاعات، أو ما يروج له من محتوى اعلامي عنيف والذي يوحي للمشاهدين والقراء

ان داعش غول قوي وغني وخطير يصعب او يستحيل القضاء عليه، في حين رأينا كيف ان حماة بلدة صغيرة مثل كوباني البطلة تصدوا لداعش ودباباته وصواريخه ومدافعه وسلاحه الكيمياوي بأسلحة بسيطة وعزم لا يلين وألحقوا بعناصره وآلياته خسائر فادحة ، ذلك لأن المعنويات العالية للمقاتلين لا تقل أهمية عن الأسلحة المستخدمة في أرض المعركة. اذن فأن داعش ليس ذلك التنظيم الخرافي الذي لا يقهر، بل تنظيم ارهابي يمكن دحره عسكريا في ميادين القتال واعلاميا على نفس الشبكات التي يبث عليها داعش دعايته المسمومة، ودحض أفكاره الظلامية ومنهجه التدميري بفضح دوافعه و اساليبه المجردة من كل القيم الأنسانية والأخلاقية، وخنقه أعلاميا بعدم التركيز على ما يقوم به من جرائم بشعة تقشعر لها الأبدان .

لا معنى للأرهاب من دون وسائل الأعلام

إن تأريخ الإرهاب الدولي حافل بأمثلة كثيرة تدل على أن الهدف الأول للإرهابيين هو الوصول إلى وسائل الأعلام، والتأثير النفسي في الجمهور العريض، والإعلان عن أنفسهم، وايصال أصواتهم السياسية أو الدينية أو القومية الى الرأي العام في بلدانهم، ونقل مطالبهم وتهديداتهم إلى الجهات المعنية في استعراض رخيص لسلاحهم الوحيد وهو الخطف والقتل والذبح دون اى اعتبار للقيم الدينية إلى يزعم الإرهابيون أنهم (يجاهدون في سبيلها) .

وقد لوحظ إن التخطيط لعملية الحادي عشر من أيلول في الولايات المتحدة الأميركية، قد جرى بشكل يتيح الفرصة لعدسات مصوري التلفزيون ووسائل الأعلام الأخرى تسجيل كيفية اختراق

الطائرة الثانية لناطحة السحاب الثانية، كما إن العديد من الإرهابيين الذين قاموا باحتلال السفارات، أو مقرات المنظمات الدولية، أوخطف الطائرات واحتجاز المدنيين، قد اعترفوا بأن هدفهم الأول كان الظهور على شاشات التلفزيون من اجل نشر بياناتهم ومطالبهم، وقد استسلموا بعد عقد مؤتمر صحفي سريع أو الإدلاء ببيان إلى وسائل الأعلام.

البحوث والدراسات العلمية، التي اجريت في معاهد متخصصة في الغرب تؤكد ان «لا معنى للإرهاب من دون وسائل الأعلام»، ذلك لأن عرض ما تنتجه ماكنة الدعاية الأرهابية وخصوصاً ما ينشره داعش على نحو متعمد من بيانات ومقاطع فيديو بشعة تركز على الأجساد الممزقة، والأشلاء المتناثرة، والآليات المحترقة، يعد اسهاما مجانياً مباشراً في الحرب النفسية التي يشنها هذا التنظيم الأرهابي، وتشجيعاً على ارتكاب المزيد من الجرائم بهدف التأثير في الرأي العام وارباك بعض مفاصل الحياة في البلد المستهدف .

(داعش) لا يفتقر الى منصات اعلامية تقليدية مثل الصحف الورقية، ولا الى فضائيات تروج للفكر العنيف، وثمة العديد من الصحف والفضائيات العربية القومية والأسلاموية، التي تسهم بشكل مباشر أو مستتر في الدعاية لداعش عن طريق التركيز على فعالياته، وابراز وتهويل انتصاراته الحقيقية والموهومة، ولكن تأثير الصحف الورقية، لم يعد كما كان في الماضي، بل آخذ في التضاءل يوماً بعد يوم، مع الأنخفاض المستمر لعدد قرائها، والفضائيات ليست منصات ملائمة لتجنيد الجهاديين، أوالتواصل بين أعضاء التنظيم. لذا فأن ستراتيجية داعش الأعلامية قائمة على استغلال

الأنترنيت و شبكات التواصل الأجتماعي والهواتف الذكية للوصول إلى الناس والتنسيق بين الأرهابيين،على شتى المستويات .

الأبواق الإعلامية لبعض الدول الأجنبية،التي تتبع سياسة (فرق تسد)، تسهم أيضاً على نحو فعال في تهويل ما يجرى في العراق اليوم وتتحدث عن الغزو الداعشي ليس لأظهار وحشيته بل تشويه صورة الأسلام، وبذلك تسهم هذه الأبواق في تضليل الرأي العام المحلى والعا لمى وهى مهتمة بمصالح الدول الناطقة بأسمها، أكثر من اهتمامها بأمن واستقرار العراق و حياة ومصير شعبه.

ولا شك إن حجب حسابات الأرهابيين أو ازالة المحتوى الألكتروني، الذي يبثونه في الفضاء الأعلامي الألكتروني، ستعرقل الى حد كبير تنفيذ أجندتهم وسيؤدى إلى حصر الآثار النفسية للعمليات الإرهابية في نطاق ضيق وتفويت الفرصة عليهم لتحقيق مخططاتهم الشريرة.

وتشير بعض البحوث الأعلامية الجديدة التي اجريت في الغرب، إن الحرب النفسية التي تشنها الزمر الإرهابية، تفقد تأثيرها، عندما لا تهتم بها وسائل الأعلام. وفى الوقت نفسه فأن التركيز المتعمد والعرض المتكرر للمشاهد الدموية لعمليات القتل والذبح والتي تثير الرعب والأسى لأول وهلة، يعتاد عليها المشاهد تدريجيا، ويفقد اهتمامه بالآم الآخرين، وتعاطفه الأنسانى مع الضحايا إلى حد بعيد، ويركز على أمنه الشخصي، وأمن عائلته، ويظل نهبا للقلق والهواجس، لأنه يخشى إن يتعرض لحادث ارهابى في اى مكان من المدينة التي يسكن فيها. وهذا ما يهدف إليه الأرهابيون،اى نسيان آلام الضحايا وعذاباتهم والاستهانة بالأرواح البشرية .

يتضح مما تقدم، إن العنصرالضرورى لأية سياسة فعالة ضدالأرهاب والحد من مخاطره يكمن في منع استغلال وسائل الأعلام من قبل زمر الإرهاب والتزام هذه الوسائل بالموضوعية والحيدة و المعايير المهنية في تغطيتها للعمليات الإرهابية.

الأرهاب وحرية الأعلام

ربما يقول البعض إن منع داعش من استغلال وسائل الأعلام وتجاهل بياناته وما يبثه من مقاطع فيديو يتعارض وحرية الأعلام، وان من حق المواطن الحصول على المعلومات الوافية عن الحوادث التي تقع في البلاد ولها مساس بحياته ومستقبله. ولكن من جهة أخرى من حق المجتمع أيضا إن يحمى نفسه من الآثار السلبية الخطيرة للحرب النفسية، إلتى تستهدف أمنه واستقراره ومستقبله .

و من المفيد إن نستذكر هنا الوعد الذي قطعه الرئيس الأميركي (فرانلكين روزفلت) لشعبه عند توليه السلطة، بضمان الحريات الأساسية ومنها التحرر من (الخوف). ولكن عرض المشاهد المروعة للعمليات الإرهابية يتعارض تماما مع التحرر من الخوف، ولحل هذا التناقض، لا بد من التوصل إلى توازن بين وقاية المجتمع من الخوف وبين حرية الأعلام، ذلك لأن أي سياسة فعالة لمكافحة الإرهاب، والحد من مخاطره، وتأثيراته النفسية البالغة، تستدعى إن يكون الأعلام عونا للمجتمع، لا سلاحا يستخدمه الإرهابيون ضده.

يزعم بعض الإعلاميين إن المتلقي نفسه يرغب في مشاهدة صور العنف، ولكن هذا الزعم غير صحيح، لأن دراسات كثيرة أخرى أشارت إلى إن وسائل الأعلام هي التي تخلق مثل هذه الرغبات لدى الجمهورالمشاهد، وان الاستمرار في خلق رغبات سلبية- إن صح

التعبير – يلحق الأذى بالمجتمع، وان من حق المجتمع أيضا الرفض القاطع لتحويل الرعب إلى سلعة تتاجر بها وسائل الأعلام، وتجنى من ورائها إرباحا طائلة . ويكفى إن نشير إلى إن شريطا يتضمن بيانا للبغدادي أو الزرقاوى أو مشاهد للمقاتلين الملثمين وهم ينحرون او يقتلون ضحاياهم ،لا يستغرق عرضه سوى بضع دقائق (والتي تحصل عليها بعض القنوات التلفزيونية بطرق مشبوهة وتحتكر ملكيتها) يباع للفضائيات الأخرى ووكالات الأنباء العالمية بسعر يتراوح بين (150-250) إلف دولار. اى إن المنفعة المادية متبادلة بين الأرهابين والقنوات التلفزيونية، التي لا تبالي بالنتائج المترتبة على عرض مثل هذه الأشرطة. وبطبيعة الحال، فأننا لا ندعو إلى الحد من حرية الأعلام، ولكننا نرى ضرورة الألتزام بالمسؤولية الأجتماعية، وتجنب كل ما يلحق الضرر بالمجتمع والأمن الوطني .

اخلاقيات المهنة في التعامل مع أخبار الأرهاب

إن الالتزام بأخلاقيات المهنة والشرف الصحفي، وتغطية الحوادث بأسلوب حضاري، بعيدا عن الإثارة الصحفية والاستغلال التجاري للماسي البشرية، لا تتعارض أبدا مع حرية الأعلام وحق المواطن في معرفة الحقائق التي لها مساس بحياته ومستقبله.

وثمة درس بليغ قدمته الفضائيات الأميركية الأكثر شهرة وانتشارا، عندما قررت بعد أيام معدودة من حوادث الحادي عشر من أيلول عدم إعادة عرض الريبورتاجات عن هذه الحوادث، حيث، امتنعت أغلبية تلك الفضائيات عن عرض صور الناس الذين كانوا يرمون بأنفسهم من نوافذ ناطحتي السحاب في نيويورك .

وكانت هذه الخطوة – التي أقدمت عليها الفضائيات بمحض إرادتها – مثالا جيدا على الإحساس بالمسؤولية تجاه المجتمع، ذلك لأن عرض الريبورتاجات المصورة عن هذه الحوادث، خلال وبعد حدوثها مباشرة ألحق ضررا بالغا بالحالة النفسية لملايين الأميركيين وأدى إلى رفع معنويات الأرهابين، وبعد إدراك هذه الحقيقة المرة، قامت بعض الفضائيات الأميركية بعرض بعض اللقطات المتفرقة الثابتة (غير المتحركة) ومن دون صوت. وامتنعت عن عرض كل ما يلحق الضرر بأميركا والأميركيين .

ولا شك في إن وسائل الأعلام الأميركية تتمتع بمساحة واسعة من الحرية تفوق ما تتمتع به وسائل الأعلام العربية، ومع ذلك، فأن امن المجتمع الأميركي والمعايير المهنية والأخلاقية هي أكثر أهمية لديها من مصالحها الضيقة، فمتى تستيقظ ضمائر المسؤولين في الفضائيات العربية وبعض الفضائيات (العراقية) المشبوهة ويحترمون أخلاقيات المهنة، ومشاعر المشاهدين، وامن واستقرار بلادهم، أكثر من اهتمامهم بالإثارة والانتشار والمال.

من المستفيد من أحتكار المعلومات ؟

تحاول العديد من حكومات العالم النامي، أحتكار المعلومات، و حصرها فى نطاق ضيق، بموجب قوانين للمطبوعات أوالإعلام، تنطوي على العديد من المواد والفقرات المقيدة لحرية الرأي والتعبير، ليتسنى لها تمرير سياساتها بعيدا عن أنظار الرأى العام، وتتخذ فى كثير من الأحيان قرارات مهمة من دون الرجوع الى آراء الخبراء و ذوى الأختصاص أو مراعاة المصالح العامة للمجتمع .

و قد كان احتكار المعلومات على مدى التأريخ البشري – و ما يزال الى يومنا هذا – سلاحا ماضيا و أداة فعالة في السياسة لتضليل الجماهير، وهذا الأحتكار هو السمة المشتركة بين الأنظمة اللا ديمقراطية بصرف النظر عن الأساليب المتبعة لتحقيق ذلك .

وينطوى حجب المعلومات عن الرأى العام، وعدم أشراكه فى مناقشة القضايا المهمة، وفى اتخاذ القرارات بشأنها، والتى تمس المفاصل الأساسية لحياة المجتمع ومستقبل أبنائه، على أزدراء دفين للجماهير وعدهم رعايا للدولة، و عليهم ان يسمعوا و يطيعوا و ينفذوا ما تأمر به السلطة، لا مواطنين يسهمون فى حكم البلاد، ومن حقهم أن يحصلوا على المعلومات الكافية عما يحدث فى وطنهم، و يناقشوها، ليتسنى لهم الوصول الى رأى نهائى بصدد القضايا المطروحة .

و يختلف الأمر أختلافا جذريا فى ظل الأنظمة الديمقراطية الحقيقية، حيث تدرك الحكومة أنها وليدة الرأى العام و خادمة الشعب، تعبرعن أرادته، وتحرص على مصالحه،و تحمى حريته، لذا

فأنها لا تخشى مصارحة الشعب بالحقائق و المعلومات المتوفرة لديها،عن كل ما يهم الرأى العام معرفته، ولضمان حق المواطن فى الأطلاع على المعلومات التى تمس حياته وحريته وحقوقه الشخصية والسياسية والأقتصادية .

و تنص دساتير الدول الديمقراطية، وقوانين حرية المعلومات المنبثقة عنها على ضرورة مراعاة الشفافية فى عمل المؤسسات الحكومية، وحق المواطن فى الحصول على المعلومات، ونشرها بأى وسيلة قانونية، وبضمنها وثائق الحكومة و مراسلاتها وفق ضوابط معينة . كما تتضمن تلك القوانين لائحة محددة بالمجالات السرية ذات العلاقة بأمن الدولة، حيث يقتصر تداولها على الأجهزة الخاصة، ولكن يمكن الأطلاع عليها، أو نشرها عند الحاجة، من قبل اللجان البرلمانية أو بناءا على أمر قضائى . والغرض من وجود هذه اللائحة هو عدم تعسف السلطة فى تفسير أو أعتبار ما هو سرى على هواها . وقد حددت تلك القوانين فترات تتراوح بين (10 – 30) يوم لتلبية طلبات المواطنين،ومحاسبة الموظفين الذين يمتنعون عن تقديم المعلومات أو يقدمونها بشكل ناقص، مما قد يؤدى الى الحاق الأضرار بمصالح المواطن أو ينتهك حقوقه وحريته .

و فى الوقت نفسه فأن قوانين حرية المعلومات فى تلك الدول تقيد حرية الحكومة، والشركات فى جمع المعلومات الشخصية عن المواطنين وتداولها أو اتاحتها للآخرين .

يتضح مما تقدم ان المبدأ الذى تعتمده النظم الديمقراطية يجمع بين ضمان حماية المعلومات السرية ذات العلاقة بأمن الدولة،

واتاحة المعلومات الضرورية لمشاركة المواطنين فى اتخاذ القرارات التى تمس حياتهم. ويكتسب هذا الموضوع أهمية قصوى فى الوقت الراهن بالنسبة الى العراقيين، حيث يعيش المواطن منذ سقوط النظام السابق فى دوامة من التشويش المعلوماتى، وخلط الأوراق و التصريحات المتناقضة للمسؤولين الجدد،و سط تضليل أعلامى واسع تقوم به أجهزة الأعلام الحكومية و الحزبية، لحجب الحقائق و المعلومات عن المواطنين، من أجل التستر على الفساد الشامل،الذى ينخر فى جسد الأدارة الحكومية المتخلفة وعلى الصفقات السياسية التى تتم وراء الستار لتقاسم المناصب والغنائم و الأمتيازات .

ان الغموض يكتنف جوانب جوانب كثيرة من حياة العراقيين و قضاياهم المصيرية، دون أن تحاول الجهات الرسمية ذات العلاقة القاء الضؤ عليها، ناهيك عن غمط حقوق المواطن العراقى فى حرية تداول المعلومات، وحصوله على المعلومات التى تمس حياته و حريته الشخصية، التى نصت عليها المواثيق الدولية و الدستور العراقى.

واذا كنا نريد حقا أقامة نظام ديمقراطى حقيقى فى العراق، فأن على العهد الجديد مصارحة الرأى العام فى القضايا المهمة، و أتاحة الفرصة للمواطن للأسهام فى أتخاذ القرارات التى تمس حاضره ومستقبله من أجل بناء العراق (الجديد) حقا .

حرية الصحافة بين التشريع والتطبيق

حرية الصحافة أحد أهم أشكال حرية الرأي والتعبير، وهي المحك الحقيقي للحريات الاخرى، وأداة اساسية في النقد والمتابعة والرقابة على اداء السلطة التنفيذية. والحرية الصحفية التي نقصدها، هي تلك التي تسمح بالنقد الموضوعي وتحري الوقائع، وتقصي الحقائق، وصولا الى إيجاد الحلول لمشاكل المجتمع . وهي القوة التي تصوغ أكثر من أي قوة أخرى الآراء و الأذواق والسلوك.

ويمكن النظر الى حرية الصحافة من ثلاث زوايا، وهي

1 - حرية المعرفة: وهي الحق في الحصول على المعلومات اللازمة لتنظيم الحياة، والحصول على قدر من المشاركة في الحكم، وهو حق اجتماعي لعامة الجماهير،

2- حرية القول: وهي الحق في نقل المعلومات، بحرية، وتكوين رأي، في أي موضوع، والمناقشة حوله. وهو ما يقصد به «حرية الصحافة»، التي بدورها حق المجتمع، تؤديه عنه وسائل الأعلام .

3- حرية البحث: وهي الحق في اتصال وسائل الأعلام، بمصادر المعلومات، التي يجب معرفتها، ونشرها . وهو حق للمجتمع كذلك، تؤديه وسائل الأعلام نيابة عنه.

إن المسؤولية الأساسية للصحافة، هي الدفاع عن هذه الحريات الثلاث ضد كل تدخل خارجي، مهما كان مصدره، سواء من جانب الحكومة، أوالقوى المؤ ثرة داخل المؤسسات الأعلامية نفسها . ان تثبيت حرية الصحافة في نصوص الدستور أو القانون، لا يعني،

بالضرورة، توافر حرية الصحافة، وإنما ينبغي توافر ضمانات تدعم هذا الحق .

وتنص قوانين الصحافة في الأنظمة الديمقراطية، و بخاصة في الدول الغربية المتقدمة، على منح الحرية لكل مواطن كامل الأهلية في أصدار اي مطبوع دوري دون أذن مسبق، شريطة ان يتم لاحقا اخطار الجهات المعنية بذلك. وكذلك أعطاء الصحفي حق التعبير عن رأيه بحرية دون رقابة، وضمان حق المواطن في الحصول على المعلومات الضرورية للأسهام في اتخاذ القرار الذي يمس حياته والمجتمع الذي يعيش فيه .

اما على مستوى الممارسة والتطبيق، فان الحرية الصحفية نسبية وغير مطلقة، حتى في أكثر الدول ديمقراطية، والتي تضع خطوطا حمراء أمام العديد من الموضوعات الحساسة بالنسبة اليها دون ضغط أو أكراه مباشرين، بل تفعل ذلك بأساليب شديدة الفعالية والذكاء، حتى لتبدو وكأنها لا تتدخل في شؤون الصحافة.

اما الانظمة الأستبدادية فأنها لا تكتفي بوضع القيود الصريحة المجحفة في قوانين الصحافة والمطبوعات، بما يضمن لها قمع الآراء المعارضة، واستمرار هيمنتها المطلقة على السلطة، بل تلجأ في كثير من الاحيان الى وضع مواد وبنود أخرى فضفاضة في نصوص تلك القوانين، يمكن تفسيرها بأشكال مختلفة مثل الفقرات الخاصة بمصالح البلاد العليا، والأمن الوطني، وتقاليد المجتمع و عاداته وما شابه ذلك.

الصحافة رسالة قبل ان تكون مهنة و صناعة و من الضروري أن تلعب دوراً تنويرياً في نبذ تلك العادات وليس الحفاظ عليها وعدم المساس بها .

ورغم ان قوانين الصحافة حتى في ظل الانظمة القمعية المغلفة بديكور ديمقراطي زائف، تنص على ضمان حرية النقد، الا ان هذه الحرية شكلية الى حد كبير، وتبقى حبرا على ورق أو يوضع لها سقف محدد لايمكن تجاوزه دون الوقوع تحت طائلة المساءلة. فعلى سبيل المثال نجد ان تلك الأنظمة تسمح بأنتقاد المسؤولين من ذوي المناصب الدنيا، أو المتوسطة، وتحظر توجيه النقد الى رئيس الدولة، او رئيس الوزراء و الوزراء كما كان الأمر مثلاً، في ظل النظام الصدامي أو تمنع المساس بالأداء الحكومي عموماً و ان كان هذا الأداء فاشلاً و فاسداً و ظالماً .

و تلجأ العديد من الأنظمة القمعية الى شتى اساليب الترهيب والترغيب، لمنع الكاتب او الصحفي من التعبير عما يعتمل في ذهنه و يشغل باله، ومن تسجيل الوقائع والاحداث بصدق وامانة، اذا كانت دلالاتها تتعارض مع وجهة النظر الرسمية، و الصحافة في ظل مثل هذه الأنظمة تتحدث في العادة عن الأنجازات و الأيجابيات فقط، وتعمد الى أغفال السلبيات و الأخطاء ومواطن الخلل و الزلل، مما يؤدي الى تفاقمها و صعوبة معالجتها مستقبلاً. ان الهوة التي تفصل بين التشريع والتطبيق في أي بلد، تضيق او تتسع حسب هامش الحرية الحقيقية المسموح به للصحافة

ويرى شريدان(*) أنه «خير لنا أن نكون بدون برلمان من أن نكون بلا حرية صحافة»، الأفضل أن نحرم من المسؤولية الوزارية ومن

(*) لو فانو، شريدان (1814-1873) كاتب و شاعر و صحافي ايرلندي مشهور بقصصه عن الأشباح، نشر قصصًا عما وراء الطبيعة في مجلة جامعة دبلن. وكثيرًا ما تُعد روايته تورلوج أوبراين (1846م) من بين أفضل الروايات .

الحرية الشخصية ومن حق التصويت على الضرائب، على أن نحرم من حرية الصحافة و، فبهذه الحرية وحدها يمكن إعادة الحريات الأخرى إن عاجلا أم أجلا. حيث تلعب حرية الصحافة دورا كبيرا ليس في الوصول إلى الحقيقة فحسب، بل أنها تشعر الصحفي بالارتياح والطمأنينة، وتكون كما الغذاء لأجسام البشر.

المعايير الأخلاقية للعمل الصحفي

الأخلاقيات هي الأختيار الطوعي لما لا يمكن أن يفرض بالقوة ، و لذلك يترك الأمر للصحفيين أنفسهم، لا للحكومات أو السلطات لأن يضعوا المعايير لمهنتهم .

د. رشورت آيدر

معهد الأخلاقيات العالمية

يعتقد بعض الصحفيين أنه على حق دائماً، **لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ،** ويظن ان حرية التعبير عن الرأي تسمح له أن يكتب ما يشاء عمّا يشاء . و يكتب احيانا ما لا يستحق الكتابة، أو ما لا يجوز نشره، بل و اكثر من ذلك يعتقد انه معيارالحقيقة، وان ما يكتبه هو عين الحقيقة ، مهما أشتط في كتاباته .

بيد أن الصحافة – و هي السلطة الرابعة – شأن أية سلطة أخرى مفسدة، و الكثير مما ينشر في صحافتنا لا يتسم بتلك المعايير التي يعمل بها الصحفيون في البلدان الديمقراطية العريقة، التي ترسخت فيها معايير اخلاقية صارمة في الصحافة المهنية الحقة.

ان ما يميز الصحفي عن غيره من المواطنين هو امكانية توصيل افكاره الى جمهورعريض من القراء. وأذا كانت هذه الأفكار تتضمن أساءة، أو اتهاماً،او نشهيراً لشخص، او لمجموعة اشخاص، او لمنظمة او شركة، أو تشويها و تزويرا للمعلومات والحقائق، او حتى خطأ ما، فأن نشرها يلحق الضرر يمن يتحدث عنه الصحفي .

و من اجل تفادي مثل هذه الحالات، فأن الصحفيين و الناشرين - في المؤسسات الصحفية الرصينة، التي تؤمن بحرية الصحافة و المسؤولية الأخلاقية للصحفي، وضعوا طواعية مجموعة من «المعايير الأخلاقية للأداء الصحفي»، المنظمة للسلوك المهني، وتتألف من المباديء و الممارسات الجيدة، التي تحدد ما هو صحيح يجب اتباعه، و ما هو مضر- يعاقب عليه القانون - فيما يكتب، أو بتعبير آخر ما هو مسموح بالكتابة عنه و ما هو محظور .

هذه القواعد ليست مطلقة. و قد تتباين الى هذا الحد أو ذاك بين المجتمعات المختلفة، نظرا لتباين القيم الأجتماعية والثقافية والظروف المحلية. لذا فأن لكل مؤسسة صحفية أو صحيفة واسعة الأنتشار في الغرب «ميثاق شرف صحفي» خاص بها يتضمن فلسفتها و مبادئها التي تعمل على أساسها، وقد تختلف فلسفات المؤسسات الصحفية، الا انها تجمع على الألتزام بالحقيقة والدقة والموضوعية و الحياد والمسؤولية امام القراء. و ينبغي اتباع تلك الأخلاقيات خلال الحصول على المعلومات و تقييم أهميتها ثم توصيلها الى الجمهور.

ان القوانين الخاصة بالعمل الصحفي في العديد من البلدان الديمقراطية تجعل من تطبيق يعض هذه القواعد ملزما «الامتناع عن نشر الافتراءات، عدم التحريض علي مخالفة القانون الخ» وتترك الجزء الاخر لحسن نية و فطنة الصحفي نفسه. وأعتقد ان افضل صيغة لهذه القواعد هي تلك، التي صاغها الناشر البريطاني ديفيد راندال – حيث قال انها «مجموعة القواعد التي يجب ان يلتزم بها كل صحفي محترم او يحس بالخجل عندما لا يلتزم بها».

و هذه القواعد لا يقتصر على الصحفيين فقط، بل ان على الكتاب و الأدباء و الشعراء الألتزام بقسم منها، حيث لايجوز لأحد منهم الأساءة لشخص أو لمجموعة أشخاص أو مؤسسة و ما الى ذلك.

ان الصحفي المهني، الذي يتحلي بالمسؤولية، و يعرف قدر نفسه و مكانة صحيفته، يسعى جاهداً لعدم الأخلال بهذه القواعد - حتى عند عدم وجود تشريعات أو قوانين خاصة بالإعلام أو المطبوعات تنص على معظم أو بعض هذه القواعد - مما يجنبه المشاكل، و يرفع من شأنه في عيون القراء، و يحظى بأحترام الذات، و أحترام الآخرين له . ترى ما هي هذه القواعد؟

كما اشرنا فيما تقدم، لا توجد لائحة موحدة ملزمة لـ«المعايير الأخلاقية للعمل الصحفي» و لكن ثمة معايير أخلاقية عديدة مشتركة تعمل بموجبها المؤسسات الصحفية والصحفيون في البلدان الديمقراطية العريقة، يمكن حصرها في البنود التالية:

1 - احترام الحقيقة وحق الجمهور في معرفة الحقيقة

هذا االمبدأ هو أول وأهم واجب للصحفي، وحجر الزاوية في أخلاقيات مهنة الصحافة. ان جوهر عمل الصحفي هو تقصي الحقيقة، و توصيل المعلومة والخبر الصحيح من مصادره الموثوقة للقارىء والمشاهد والمستمع دون تشويه أو تحريف.

لا صحافة ولا صحفي مهني من دون حقائق. و اذا كان الصحفي يود ان يخترع القصص، عليه ان يكتب القصص الخيالية. اما اذا كان يريد اقناع الناس، والتاثير في عواطفهم، فأن عليه ان يعمل في مجال الاعلان او العلاقات العامة، و ليس في الصحافة

الأحترافية.. الصحفي سواء أكان مراسلاً ام مندوباً ام محرراً ام ناقداً رياضياً، فأنه يتعامل مع الحقائق قبل كل شيء.

تقول نكتة روسية ان ثمة خمس درجات للكذب، - الكذبة العادية، والكذبة الصارخة، والكذبة الصارخة جدا، والإحصاء، والاقتباس. «نصف الحقيقة» غالبا ما يكون كذبة كبيرة أسوأ من الأفتراء أو الأختلاق. هناك العديد من الأساليب الديماغوجية التي تسمح بالكذب يأستخدام نصف الحقيقة، و بالأقتباس الأنتقائي، والتركيز على بعض التفاصيل الثانوية، و الصاق التهم والأستناد اليها في الهجوم والتجريح. ولن يكون ما يكتبه الصحفي – في مثل هذه الحالات - صحافة بل شيئاً آخر.

لذلك فالصحفي الذي يشعر بالمسؤولية، لا يحق له قانونا ان يكتب نصف الحقيقة ويتجاهل النصف الآخر. ومن حق القراء الأطلاع على المعلومات الدقيقة الكاملة من اجل تشكيل الصورة الحقيقية للأحداث والأحتفاظ بثقة الجمهور ومن دون هذه الثقة لا توجد صحافة جديرة بهذا الأسم.

2 – الألتزام بالموضوعية

الموضوعية هي إحدى أهم القيم في العمل الإعلامي،التي تضمن التوازن والمصداقية والحياد والنزاهة. ورغم صعوبة تحقيق كل أبعاد الموضوعية، الا ان الصحفي يستطيع أن يكون موضوعيًا، إذا أراد، وسعى من أجل ذلك.

حين يقوم الصحفي بجمع المعلومات حول موضوع ما، عليه ان لا يحاول بأي ثمن أثبات، أو دحض وجهة نظر معينة. و هذا لا يعني

بأن الكاتب لا يستطيع ان يقوم بجمع الأدلة في محاولة لأثبات فرضية معينة، ولكن اذا كانت الشواهد و الأدلة، التي جمعها تخالف فرضيته، عليه التخلي عن رأيه المسبق، وأن لا يحاول تحريف الحقائق لتتناسب مع و جهة نظره .

أي إخلال بالمضمون من شأنه تشويه صورة الصحافة والصحفي نفسه والجهاز الإعلامي الذي يعمل فيه .

3- عدم الخلط بين الرأي و الخبر

عدم خلط الرأي بالخبر، إحدى أبجديات العمل الصحفي، فالخبر ملك القارئ، والمقال ملك صاحبه، باعتبار الأول عنواناً للحقيقة و الثاني مجرد رأي أو زاوية من زوايا النظر الى الحقيقة أو الحدث.

والصحافة المهنية هي التي تذكر أولاً الأخبارالمعتمِدة على المصادر الموثوقة وشهادات العيان، ثم تنشرالآراء والتحليلات ان وجد، مع الحرص على تقديم آراء ووجهات نظر متعددة.

كيف نفرق بين الخبر والرأي؟

«الخبر حر .. والرأي مسؤول»، بمعنى أن الخبر ملك للحقيقة و معياره الدقة، فالمحرر مُلزم بنقله دون تشويه او تحريف أو حذف أو أضافة. أما الرأي فهو يعتمد تصوّراً واحداً عن الحدث، ومعياره موضوعية الكاتب. ويختلف الناس في آرائهم و تصوراتهم، لأن كل واحد منهم، يرى الحدث ويفسره من زاويته هو، وبما يتوافر لديه من معلومات.

4 - عدم اللجؤ الى طرق ملتوية في الحصول على المعلومات

هذه الفقرة، ربما هي الأكثر أثارة للجدل. ومن الواضح ان المعلومات التي يحصل عليها الصحفي عندما يكشف عن هويته، ويعلن أنه يمثل الجريدة الفلانية، تختلف كثيراً عن تلك التي يحصل عليها لو أنتحل هوية شخصية أخرى. فالأنسان - أي انسان - عندما يتحدث الى الصحفي و يعرف ان ما يتحدث عنه سينشر، يحاول أن يبدو موضوعيا، حريصاً على تقديم صورة ايجابية عن نفسه، في حين أنه لو تحدث الي شخص آخر فأنه يقول ما يحلو له، وقد يكذب او يبالغ. و بتعبير آخر فأن المعلومات المستقاة منه لن تكون موثوقة، و لا يمكن الأعتماد عليها، ولا يجوز نشرها .

كما لا يجوز الحصول على معلومات، أو صور من خلال التخويف، أو المضايقة أو الملاحقة، ويمنع نشر مواد صحفية من مصادر أخرى لا تلتزم بهذه المتطلبات.

وعموما فأن الصحفي المهني يقدم نفسه بصفته الصحفية، ويصرح بأنه يجمع المواد لمقال أو تحقيق صحفي، ما عدا الحالات الأستقصائية عن شخص او مؤسسة. و حتى في مثل هذه الحالات، لا يتم أستخدام المعلومات المتحصلة مباشرة، بل لأجل التمهيد لعمل لاحق و ليس للنشر .

5- التعامل المهني مع مصادر المعلومات

الالتزام بتحري الدقة في توثيق المعلومات، ونسبة الأقوال والأفعال إلى مصادر معلومة، كلما كان ذلك متاحاً أو ممكناً طبقاً للأصول المهنية السليمة، التي تراعى حسن النية.

وعلى الصحفي الألتزام بحماية مصادر معلوماته، و عدم أفشاء الأخبارالسرية للناس أو لزملاء المهنة، لأن ذلك قد يؤدي الى بعض الضرر لهذه المصادر، أو يجعلها تحجم عن الكلام مستقبلاً، مما يضر بمستوى سريان المعلومات الى المجتمع. و تأريخ الصحافة زاخر بحالات تم فيها مقاضاة الصحفيين و لكنهم لم يكشفوا عن مصادر معلوماتهم.

و اذا كان الصحفي قد اتفق مع مصدر المعلومات على شرط معين او اكثر فأن عليه أحترام الأتفاق، وعدم أنتهاكه بأي حال من الأحوال. و اذا كان مصدر المعلومات اشترط عدم نشرها، فلا يجوز للصحفي النشر، و حتى عندما يطلب المصدر نشر المعلومات فى توقيت معين فعلى الصحفي أن يحترم هذا الوعد من أجل الأحتفاظ بثقة المصدر .

6- عدم الخلط بين النشاط السياسي و العمل الصحفي

لا ينبغي للصحفي العمل في أية وظيفة أخرى، إذا كانت تؤدي إلى الإخلال بأمانة الصحفي وصحيفته. والصحفي ورؤساؤه يجب أن يعيشوا حياتهم الخاصة بطريقة تحميهم من تضارب المصالح، سواء أكان ذلك حقيقيا أم ظاهريا . إن مسئوليتهم تجاه الجمهور لها الأولوية قطعا . وهذه هي طبيعة مهنتهم.

وبحسب مجلة «النيو يوركر» فإن العديد من الجرائد في الولايات المتحدة لا تسمح للصحفيين بالتعبير عن آرائهم للعامة، والمشاركة في التظاهرات، وإرتداء

الأزرار والشارات الخاصة بالحملات الإنتخابية، أو لصق الرسوم والصور من هذا النوع على خلفية سياراتهم».

ومن جهة آخرى، هنالك العديد من المؤسسات الإعلامية حول العالم يعمل فيها صحفيون ناشطون في الأحزاب السياسية وفي بعض الأحيان يتم تعيين هؤلاء الصحفيين بسبب انتمائهم السياسي.

و في كل الأحوال، فأن الانتماء السياسي يجب أن يكون خارج نطاق العمل الإعلامي.

ومن مسؤولية الصحفي الاجتماعية عند تغطية قضايا ساخنة، تمثيل التنوع في المجتمع، والبقاء على مسافة واحدة من الأجندات السياسية، وتوعية المواطنين بلأحداث الجارية.

7- تصحيح الأخطاء

الصحفي كاي انسان آخر معرض لأرتكاب الأخطاء. و اذا أخطأ او حرّف الحقائق أو تسرع في أستخلاص الأستنتاجات، عليه ان يبادر من تلقاء نفسه الى تصحيح ذلك قبل أي شخص آخر وأن ينشر التصحيح في المكان نفسه الذي نشرت فيه المادة موضوعة التصحيح. ربما يعترض رئيس التحرير على ذلك و لكن على الصحفي ان يحاول نشر التصحيح و هذا أضعف الأيمان .

8- عدم استخدام المهنة كسلاح

في حالة وجود أي نزاع مع شخصية أو منظمة ما، يميل بعض الصحفيين الى استخدام مهنته كسلاح للتخويف احيانا، ومع ذلك، لا ينبغي له أن يفعل ذلك بأي حال من الأحوال مهما كان الأغراء قوياً، و الأسوأ من ذلك حين يستخدم الصحفي موقعه للأبتزاز و هذا يدخل في باب الجرائم .

و اذا كان الخبر او الحدث يستحق النشر حقا ينبغي الكتابة عنه و ليس التهديد بنشره. اما اذا كان الحدث لا يستحق النشر، فمن الضروري عدم اللجؤ الى التهديد، الذي يسيء ببساطة الى الصحفي نفسه و صحيفته و مهنته .

9 - عدم استغلال المهنة للحصول على مكاسب شخصية

يحظر على الصحفي استغلال مهنته في الحصول على أي هبات، أو تبرعات مالية أو عينية، أو مساعدات أخرى، مهما كان نوعها أو صورتها، من جهات أجنبية أو محلية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

أن الرشى و الهدايا، والمجاملات، والرحلات المجانية، والمعاملة الخاصة أو الامتيازات من أجل نشر أو إخفاء معلومات معينة. كل هذا يمكن أن يؤدي إلى تخلي الصحفي عن أمانته و أمانة صحيفته. ولا يجب على الصحف قبول أي شيء له قيمة مادية مجاناً.

وعلى الصحفي تجنب الكتابة عن الاسهم او السندات التي يعلم أنه سيستفيد منها هو أو أقاربه من الدرجة الأولى .

إن الصحفي الذي يستخدم وضعه المهني لأغراض شخصية أو أنانية أو لدوافع أخرى غير جدير بالمهنة ويفقد ثقة الجمهور .

10 – عدم الخلط بين المادة الاعلانية والمادة التحريرية

لا يجوز الخلط بين المادة التحريرية والمادة الاعلانية، ولا بد أن يتضح الفرق بين الرأي والاعلان، فلا تندس على القارئ آراء وأفكار سياسية ودعائية في صورة مواد تحريرية. ويجب أن يتم النص

صراحة على أن المادة المنشورة اعلان، وان كانت على شكل مقال أو تقرير.

11 – أحترام الأشخاص و خصوصياتهم

يتعين على الصحفي خلال عملية جمع الأخبار وتقديمها، احترام الأشخاص وخصوصياتهم بعدم الخوض فيها، وعدم نشر أسرارهم العائلية أو المهنية اوالأخبار الكاذبة عنهم، التي تنال من سمعتهم وكرامتهم أو مكانتهم الأجتماعية أو السياسية، نتيجة خلاف في الرأي أو تحريض من جهة ما أو من أجل الابتزاز المالي. وعلى الصحفي أن لا يحاول انتهاك حق الشخص في الاحتفاظ بحياته الخاصة بعيدا عن الأخبار. لأن التطفل على الحياة الخاصة للأشخاص مرفوض تماما، ويحاسب عليه القانون في معظم، ان لم يكن في كل دول العالم .

أشهر الأخطاء المطبعية في تأريخ الصحافة العالمية

الأخطاء المطبعية قديمة، قدم الطباعة نفسها. وهي طريفة في معظم الأحيان وتدخل المرح الى نفوس القراء، بتغيير الكلمات واعطائها معاني جريئة وجديدة . ففي عام 1648 نشر البروفيسور (فلافيني) اطروحة لاهوتية، ورد فيها نص مقتبس من إنجيل متى: «وأنت ترى القذى في عين أخيك، ولا تشعر بالخشبة التي في عينك» . كانت الجملة منقولة نصاً باللغة اللاتينية . ولكن كلمة (العين) ocular تحولت بعد الطباعة الى كلمة كلمة culo التي لا تعني العين على الأطلاق في اللغة الأيطالية، بل هي قريبة من الكلمة اللاتينية culus بمعنى العجيزة . ولم ينقذ فلافيني سوى الأعتذار العلني الذي أقسم فيه بأغلظ الأيمان، أنه لم يحاول قط تحريف نص مقدس. وظل البروفيسور يلعن منضد الحروف، حتى وهو على فراش الموت .

ولكن أخطاء الطباعة في الكتب، مهما كانت غريبة وشنيعة، وتحرج المؤلف – وقد ينتابه الغضب أو الأمتعاض – ولكنها تكون أحياناً، مصدر مرح وترفيه للقراء، اذا كانت المعاني الجديدة طريفة ومسلية. ولكن مع ذلك يظل تأثيرها محدوداً بالقياس الى الأخطاء المطبعية، التي رافقت الصحف الأوروبية منذ ظهورها في القرن السابع عشر، ولم تختف حتى اليوم، بعد إستخدام مكائن الطباعة الرقمية والكومبيوتر في العمل الصحفي.. ويمكن القول أنه لا توجد صحيفة، مهما كانت شهيرة، ويعمل فيها صحفيون أكفاء، بمنجى عن

الأخطاء المطبعية، التي تحدث في العادة، من جراء الأندفاع في العمل، من اجل صدور الصحيفة في موعدها المقرر. وغالبا ما تحدث هذه الأخطاء نتيجة تبديل أو حذف احد الحروف في كلمة ما، ويؤدي الى افساد المعنى أو تغييره .

أخطاء الطباعة في الصحف والمجلات، شديدة التنوع، متباينة التأثير، والكثير منها أخطاء طريفة مثيرة للضحك، أكثر من أي نكتة يمكن أن يتخيلها انسان، وأخرى مزعجة، أو مؤلمة لصاحب الشأن، وبعضها يؤدي الى تداعيات، قد تكون وخيمة، خاصة اذا حدث عند تغطية أخبار أحد الملوك أوالرؤساء أو سياسي متنفذ. في الفقرات اللاحقة عينات مختارة من الأخطاء المطبعية الشهيرة التي وقعت فيها كبريات الصحف الغربية والروسية .

في نهاية عام 1880 نشرت احدى الصحف الألمانية مقالاً سياسياً يتحدث عن سعي الأمير «أوتو فون بسمارك» للحفاظ على علاقات جيدة مع كل القوى المؤثرة . ولكن كلمة ((Machten) التي تعني القوى المؤثرة بالألمانية، تم تبديلها خطأً بكلمة ((Madchen) التي تعني فتاة شابة أومراهِقة. أي أن السياسي العجوز، الذي كان قد تجاوز السبعين عاما يسعى للحفاظ على علاقت جيدة مع كل المراهقات.

في الفترة ذاتها نشرت احدى الصحف الفرنسية خبرا عن الحالة الصحية لسياسي فرنسي شهير، تقول فيه: «تحسنت الحالة الصحية للسياسي السيد (N) وانفتحت شهيته للأكل، ونأمل أن تكون الرعاية التي يلقاها فخر دولتنا، كفيلة باستعادة صحته

وقوته». ولكن بدلا من كلمة الرعاية ((soin) طبعت كلمة (foin)، التي تعني (القش) باللغة الفرنسية. أي ان صحة السيد (N) تحسنت بفضل تناوله القش في فترة النقاهة.

ولعل أشهر وأطرف خطأ مطبعي في تأريخ الصحافة هو ما حصل في نهاية القرن التاسع عشر، عندما نشرت احدى الصحف الفرنسية اعلاناً عاديا عن تأجير مزرعة، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، بعد أن حل حرف (m) محل حرف (r) في كلمة المزرعة ((ferme) وبذلك تحولت الى (femme) التي تعني (المرأة) باللغة الفرنسية، واكتسب الأعلان معنى جديداً تماماً بصيغته الجديدة «إمرأة جميلة للأيجار أو البيع،عند التعامل معها بشكل صحيح، خصبة للغاية»

Belle femme a vendre ou a louer; tres productive si ») on la cultive bien»)

وقد ورد ذكر هذا الخطأ المطبعي في كل طبعات موسوعة لاروس (Larousse) الفرنسية الشهيرة .

وفي الفترة نفسها كتبت جريدة (تايمز) اللندنية الشهيرة مقالاً عن الميول الدينية لرئيس الوزراء البريطاني آنذاك غلادستون، تقول فيه أنه يؤمن ايماناً راسخاً بالمذهب الأنجليكاني ((anglican) ولكن يبدو أن ذهن المنضد كان مشغولاً فطبع كلمة أفغاني (afghan) بدلاً من كلمة (anglican) ولم يفهم أحد من القراء ما هو هذا المذهب الأفغاني !.

في عام 1940 كان الرأي العام الأميركي قلقاً على صحة الرئيس روزفلت، ونشرت صحيفة (الواشنطن بوست) الأميركية خبراً على

صدر صفحتها الأولى وبمانشيت كبير، تقول فيه أن «فرانكلين ديلانو روزفلت في الفراش بسبب نزلة برد) مع اختصار اسم الرئس: FDR IN BED WITH COLD.، ولكن ما ظهر على الصفحة كان شيئاً مختلفاً تماما: FDR IN BED WITH COEDالرئيس في الفراش مع طالبة». ويقال أن الخبر كان مسلياً للرئيس روزفلت، الذي اتصل بأدارة الجريدة طالباً ارسال مائة نسخة من الجريدة، لغرض توزيعها على أصدقائه. ولكن الرئيس لم يحصل ولا على نسخة واحدة، فقد بادر مكتب التوزيع في الجريدة الى شراء كافة نسخ هذه الطبعة واتلافها، وصدرت الجريدة في اليوم ذاته بطبعة جديدة بعد تصحيح عنوان الخبر بطبيعة الحال .

أكثر الأخطاء المطبعية خطورة على رؤساء التحرير، تلك التي تمس الملوك والأباطرة ورؤساء الدول، وهي بطبيعة الحال أخطاء عفوية غير متعمدة، ومن أطرف وأخطر هذه الأخطاء، ما حدث في أوائل القرن العشرين.- وهي السنوات الأكثر ليبرالية في تأريخ روسيا - عندما نشرت صحيفة (كيفسكايا ميسل) خبراً عن زيارة الأمبراطورة الأرملة ماريا فيودوروفنا (والدة الأمبراطور) الى فنلندا، في صدر صفحتها الأولى، وتحت عنوان «مكوث الأمبراطورة الأرملة ماريا فيودوروفنا في فنلندا» ولكن حدث خطأ في كلمة (prebivaniya) الروسية وتعني (مكوث) حيث حل حرف (o) محل حرف (r) فتحولت كلمة مكوث الى كلمة (مُجامَعَةُ) مما أثار الضحك في بعض الصالونات الأرستقراطية، وتم جمع ما تبقى من النسخ من الأسواق، وصدرت الجريدة في اليوم التالي وفيها اعتذار شديد من العائلة المالكة) .

كان الخطأ فظيعا، وتم تقديم رئيس التحرير الى المحاكمة بتهمة إهانة العائلة المالكة. ولكن القصر الأمبراطوري الروسي، أدرك بسرعة أن عرض القضية على المحكمة سيجعل هذا الخطأ على كل لسان، وتلحق ضررا معنوياً فادحا بالأمبراطورة الأم، لذا تم التكتم على الخطأ، وصرف النظر عن المحاكمة . وكان ذلك عين العقل، ومر الأمر بسلام، ولم يتحول الى فضيحة مكشوفة تلوكها الألسن، بفضل حكمة العائلة المالكة .

واذا كانت الأمبراطورة الأم لم يلحق بها أذى يذكر، فأن شارل لويس بونابارت (إبن شقيق نابليون بونابارت) اضطر أن يتعايش مع الخطأ المطبعي الذي لصق به طوال حياته .

فقد اعتلى عرش فرنسا في عام 1852، بعد عودة الملكية الى فرنسا واتخذ اسم عمه الشهير، كوريث لسلالة نابليون. وفي الأيام التي سبقت حفل التتويج، عملت المطابع الفرنسية بأقصى طاقاتها من اجل طباعة آلاف المناشير لأعلام المواطنين الفرنسيين بيوم تتويج ملك جديد على فرنسا. كان عنوان المنشور بالبنط الكبير «يحيا نابليون !!!» ولكن منضد الحروف – اليدوية في ذلك الوقت - لم يفهم الخطوط العامودية المتجاورة الثلاث (!!!)، وهي علامات التعجب، وطبع بدلاً منها رقم (1) بالأرقام الرومانية ثلاث مرات (I. (I I)

في يوم التتويج جلس على العرش من عرفته فرنسا بأسرها بأسم نابليون الثالث، رغم أنه لم يكن ثمة نابليون الثاني في التأريخ الفرنسي .

وقد حاول البعض تبرير هذه التسمية بالقول ان لويس بونابرت اقترح أن يطلق عليه اسم بونابرت الثالث احتراما لذكرى ابن نابليون

الذي كان يمكن من الناحية النظرية أن يحمل اسم نابليون الثاني، لو امتد به العمر، واسترد عرش والده، ولكن المؤرخين لم يصدقوا هذا الزعم، لأن الحقيقة لا تخفى .

ستالين وأخطاء الطباعة

كل الصحف في الأتحاد السوفيتي كانت تنطق بأسم الحكومة أو الحزب أو المنظمات والأتحادات الخاضعة لهما، ولم تكن هناك صحيفة مستقلة واحدة. وكان جهاز المخابرات السوفيتي في عهد ستالين، لا يتسامح مع أبسط خطأ مطبعي في المطبوعات الدورية،وخاصة تلك التي لها علاقة بستالين. كان ثمة تعميم رسمي موجه لرجال الأمن بضرورة أن يكونوا في أقصى درجات اليقظة في النضال ضد العدو الطبقي، الذي يحاول التسلل الى الصحافة، ونشر الدعاية المعادية للسلطة السوفيتية تحت ستارالأخطاء المطبعية .

ففي منتصف الثلاثينات من القرن الفائت نشرت جريدة (ازفيستيا) الناطقة بإسم الجكومة السوفيتية، خبراً عن استقبال ستالين للسفير البولوني، وقالت أن اللقاء كان ناجحاً . ولكن حدث خطأ عند طباعة كلمة السفير (посол) بالروسية، حيث سقط الحرف الأول وتحولت الكلمة الى (осол) أي (الحمار) .

ولكن عندما قدّم رئيس جهاز الرقابة على المطبوعات تقريره عن الحادث الى ستالين، إنزعج الأخير بعض الشيء، وقال: «لا تعاقبوا كادر الصحيفة لأنها قالت الحقيقة. فالسفير يستحق هذا الوصف فعلاً» .

واذا كان ستالين قد سمح لتحويل سفير الى حمار، الا أنه لم يكن يتسامح مع أقل خطأ في طباعة اسمه، مهما كان هذا الخطأ بسيطاً. ذات مرة ورد اسم ستالين في صحيفة اقليمية بصيغة (ستادين)، وكان جزاء العاملين في الصحيفة الفصل الجماعي. وفي حالة أخرى طبعت احدى الصحف المركزية اسم ستالين بصيغة (سالين) فحكم على رئيس التحرير بالسجن خمس سنوات مع الأشغال الشاقة .

ولكن أفدح خطأ في اسم القائد الملهم، أرتكبته صحيفة تنطق بأسم منظمة الحزب في مقاطعة (ماخاجكالينسكايا) حيث جاء اسم ستالين بصيغة (سرالين) وهي كلمة بذيئة في اللغة الروسية العامية.

وأود أن اختم هذا المقال بعيداً عن كل ما يذكرنا بجوزيف فيساريونوفيتش جوغاشفيلي الذي عرف بأسمه المستعار (ستالين).

في أواخر القرن التاسع عشر تسلل عدد من طلبة جامعة اوكسفورد الى مطبعة محلية تطبع كراساً عن حفلات الزواج . وكانت اللائحة تتضمن سؤالاً تقليدياً يوجهه الكاهن الى العروسين عند عقد قرانهما، وهذا السؤال لم يتغير حتى يومنا هذا: هل يلتزم كلاكما بأن يحب ويحترم الآخر، ما دمتما على قيد الحياة ؟ so long as you both shall live

وقام الطلبة بتبديل حرف (v) في كلمة (live) بحرف (k) فتغير معنى السؤال تماماً وأصبح كالآتي: « so long as you both shall like» أي ما دام كل واحد منكما يحب الآخر .وكانت فضيحة سجلتها كتب التأريخ اللاهوتي .

القسم الثاني

الصحافة الورقية في عالم متغير

الصحافة الجديدة

في أوائل الستينات من القرن الفائت، توصل عدد من الصحفيين الشباب في الولايات المتحدة الأميركية - خلال عملهم كمراسين ميدانيين لعدد من الصحف والمجلات الأميركية الشهيرة، التي تخاطب النخب المثقفة الى إكتشاف مهم مفاده أن المقال أو التحقيق الصحفي - الذي ينطلق من الواقع - يمكن أن يصاغ على نحو يمكن قراءته كقصة مشوقة. وأنه يمكن في الصحافة وفي النثر غير الفني (نون فيكشن) استخدام كل التقنيات الروائية وبضمنها الوصف، والحوار، وتيار الوعي، وتطبيق هذه التقنيات في وقت واحد، أوالواحدة تلو الأخرى، مما يضفي على النص جاذبية تثير إهتمام القاريء وتدفعه الى التفكير.

لم تكن تجارب هؤلاء الصحفيين تقليداً لفن الرواية، بل محاولة للتعبير عن الظواهر الجديدة في المجتمع الأميركي على نحو صادق وجذاب يترك اثرا عميقا في نفس القاريء، وبذلك اتسعت الحدود التقليدية للصحافة والنثر الفني (الرواية، والقصة) في آن واحد. وعرف هذا الأتجاه الجديد بـ (الصحافة الجديدة) وأعقب هذا الأكتشاف المثير ظهور جنس أدبي جديد اطلق عليه اسم (الرواية غير الخيالية - نون فيكشن نوفيل) وهي بصفة عامة، تصور شخصيات حقيقية وأحداث واقعية من الحياة، باستخدام تقنيات السرد القصصي. وهوجنس مرن،يقع على تخوم الصحافة والأدب أو بتعبير أدق يمزج بينهما. . ويطلق عليه أحياناً الأسم الدارج (فاكشن) من الكلمتين الأنجليزيتين (فاكت - حقيقة أو واقعة) و (فيكشن – رواية أو خيال).

لم يتعمد روّاد الصحافة الجديدة استعارة التقنيات الروائية عن قصد، بل اكتشفوا هذه التقنيات بتلقائية عند محاولتهم تناول القضايا الساخنة، وجعل المادة الصحفية صادقة الى أقصى حد ممكن ومثيرة، برسم صورة حية لما يحدث في الواقع ومنح القاريء شعوراً بالأندماج فيه بكل أحاسيسه.

ازدهرت الصحافة الجديدة بين عامي (1962- 1973) أي في العقد الصاخب الذي حدثت فيه تغييرات عميقة في المجتمع الأميركي، تجلت في تطور نمط الحياة ومظاهره الجديدة. كان ذلك زمن الأحتجاجات والتظاهرات الحاشدة ضد الحرب في فيتنام، وزمن الثورات (الطلابية، والجنسية، والعرقية)، وحركة اليساريين الجدد، وظاهرة الهيبز، أو بأختصار زمن الثقافة المضادة.

(الصحفيون الجدد) الذين تبنوا الأتجاه الجديد لم يكونوا يكتبون مقالاتهم وتحقيقاتهم الصحفية من وحي الخيال، ولا يستقون المعلومات من هذا المصدر أو ذاك، بل كانوا يكتبون ما عايشوه في مواقع الأحداث، بعضهم سافر الى الفيتنام ليس مراسلاً صحفياً عادياً، بل مشاركاً بجبهات القتال، والبعض الآخر عمل في هذه المهنة أو تلك، أوانخرط في مجموعة معينة من اجل دراستها من الداخل مثل (الهيبز، أو تجار المخدرات.. الخ)، ومثل هذه الحالات كثيرة للغاية . أى أن الصحفي الجديد كان مشاركاً فعالاً في (القصة) التي يكتبها، أو شاهداً عليها في الأقل .

لم يكن الكاتب والصحفي الأميركي الشهير (توم وولف – ولد عام 1931) أول من أطلق مصطلح (الصحافة الجديدة) على هذا الأسلوب الصحفي المثير للجدل - كما يعتقد البعض -، فهو يقول

أنه قرأ في عام 1962 في مجلة (اسكواير) مقالا للكاتب (هاي تاليس) تحت عنوان «جو لويس – ملك في عنفوان الشباب» يختلف تماماً عن المقالات الأخرى في اسلوب صياغته . وكان أشبه بسرد قصصي من حيث احتوائه على مشاهد عاطفية، وحوارات حميمة بين رجل وزوجته في المطار.

ويضيف وولف: «اذا غيّرنا هذا المقال قليلا ستكون لدينا قصة قصيرة متكاملة الأركان». كان انطباع (وولف) الأول ان المقال غريب، والحوار متصنع، وحتى المَشاهد يمكن ان لا تكون لها اي علاقة بالواقع، وان الكاتب لا يعرف كيف يكتب مقالاً جيداً ! . وكان هذا رأي عدد من الكتاب والصحفيين أيضاً. لأن الصحافة وفن السرد القصصي – في رأيهم – على طرفي نقيض.

ثم كتب (جيمي بريسلين) في عموده الصحفي انطباعاته عن حادثة كان شاهدا عليها- بأسلوب قصصي، ولم يكن حظه أفضل من حظ سلفه . ويعلق وولف على ذلك قائلاً: «ان النظرة التقليدية الى الفن كالنظرة الى الدين، أو إلى شيء مقدس. والروائي الفنان، صاحب المعجزات المقدسة هو الذي يأتيه الألهام مثل ومضة خاطفة تنير ذهنه فيبدع عملا فنيا ..هكذا كان يعمل عمالقة الرواية في العالم .اما الصحافة فلا شأن لها بالألهام ولا بالعبقرية». ولكن رغم هذه النظرة التفليدية ومحاولات النيل من الأسلوب الصحفي الجديد، فأنه حقق نجاحا باهراً بين القراء وحرك المياه الراكدة في الصحافة الأميركية» .

وتتابعت المقالات والتحقيقات الصحفية وفق الأسلوب الجديد الممتع وأخذ هذا الأتجاه الصحفي يترسخ وينتزع الأعتراف حتى من

المعارضين له في بداية ظهوره. وفي الفترة ذاتها ظهرت روايات وثائقية ذات قيمة فنية عاليه، لعدد من الروائيين الأميركيين المشهورين، منها رائعة ترومان كابوتي «بدم بارد» الصادرة في عام 1965 ورواية نورمان ميلر «جيوش الظلام» في عام 1967.

أنطولوجيا الصحافة الجديدة

في عام 1973 نشر (توم وولف) كتاباً تحت عنوان «أنطولوجيا الصحافة الجديدة»، يتضمن دراسة تؤرخ لهذه الأتجاه الطليعي في الصحافة الأميركية، ومقتطفات من روايات (نون فيكشن) - أختارها بالتعاون مع زميله (أ . جونسون) لعدد من الروائيين الأميركيين المعروفين (كابوتي، هانتر تومبسون، نورمان ميلر، هاي تاليزي، جون ديديون) وغيرهم .

يقول وولف في دراسته: «ان الرواية الأميركية في الستينات وصلت الى طريق مسدود، لأن الكتّاب أداروا ظهورهم للواقعية الأجتماعية ، وانغمسوا في الفرويدية، والسوريالية، والكافكاوية، وفي عالم الأساطير .بدلاً من أن يكتبوا على غرار زولا وديكينس وثاكري، وبلزاك».

ويضيف قائلاً: «تخلى الروائيون عن الحياة الاميركية الجديدة، ولم يبق امام الصحفيين الا أن يملأوا الفراغ باستخدام تقنيات الرواية الواقعية الأجتماعية. واصبح واضحا ان الصحفين امتلكوا ناصية تقنيات الكتابة بمستوى الروائيين القديرين. والصحافة الجديدة كانت تلبي متطلبات العصر واكثر امتاعا للقاريء».

ويشرح وولف في دراسته التقنيات الأربع الفعالة التي اكتشفها هو وزملاؤه الرواد، وهي حسب أهميتها :

1 – تسلسل المشاهد: تنظيم النص الصحفي بشكل متسلسل والأنتقال من مشهد الى آخر من دون فواصل استطرادية.

2 – الحوار: تمكن رواد الصحافة الجديدة أن يكونوا مشاركين أو في الأقل شهوداً مباشرين على هذا الحدث أو ذاك في حياة شخوصهم، وكتابة حواراتهم كاملة. الصحفيون، كما الروائيون في بداية حياتهم الأدبية اكتشفوا عن طريق التجربة والخطأ، أن الحوارات الواقعية غير المنقحة التي لا تخلو من كلمات عامية وأصوات مثل (آه، أوه) تجتذب القاريء بشكل أقوى بكثير من اي مونولوجات وهي تصور الشخوص على نحو اكمل واسرع من اي وصف .

كان بوسع ديكينس أن يصوّر البطل على نحو يخيل للقاريء أنه يراه شاخصاً امامه، رغم أن هذا الوصف لم يكن يتعدى، جملتين أو ثلاث ، والجزء الأكبر من تشكيل صورة البطل كان عن طريق الحوار. اما عند الصحفيين الجدد فأن الحوار كان طبيعياً للغاية وصريحة، في حين أن الروائيين كانوا يحاولون جعلها غامضة ومبطنة .

3 – وجهة النظر: عرض الحدث أو الأحداث من وجهة نظر الشخص الثالث (هو). وكل مشهد يقدم من وجهة نظر احدى الشخصيات التي بوسع القاريء بسهولة ان يضع نفسه مكانها. وبفضل هذا يشعر كأنه يرى بعينيه ما يحدث . ولكن الضمير (هو) لا يستطيع النفاذ الى دواخل الشخصيات.

الصحفيون الجدد كتبوا أيضاً بالضمير الأول (أنا)، الذي يعد أكثر الضمائر قدرة على الكشف عن مكنونات الذات – كما في السير

الذاتية والمذكرات وبعض الروايات . ولكن احيانا كانت تظهر مواقف حرجة نتيجة لأستخدام الضمير الأول. كان على القاريء أن ينظر الى ما يجري بعيون الراوي أي الصحفي نفسه – ولكن مثل زاوية النظر هذه، كانت تبدو غير مناسبة وغير مقبولة . كيف استطاع الصحفي كاتب النص غير الخيالي ان يتغلغل بكل هذا العمق في افكار شخص آخر ؟. الجواب بسيط، حسب رأي وولف: ينبغي معرفة الدوافع التي تحركهم، وبماذا يفكرون عن طريق توجيه الأسئلة الى الشخص بحيث يتسنى معرفة أفكاره وشعوره واشياء اخرى .

4 – تفاصيل الحالة: ويتلخص في وصف ما يميز الشخص من إيماءات وحركات وعادات وطبائع، واسلوبه في الحياة، وعلاقاته في العائلة وفي محل العمل، وآرائه ومعتقداته، وغير ذلك مما يميزه عن الآخرين. النص الزاخر بهذه التفصيلات ليس من اجل غاية جمالية، بل لأنها تعطي للواقعية قوة مثل التقنيات الأخرى. وهذا يفسر قدرة بلزاك على خلق الشعور بمشاركة القاريء في ما يجري. قاريء روايات بلزاك يشعر بالقرب الشديد من الشخوص. لماذا؟ لأن بلزاك كان يستخدم هذا الأسلوب مراراً وتكراراً. ففي روايات بلزاك الناضجة كل تفصيل يدل على الشخصية، مما يجعل القاريء يفكر بوضعه ومكانته في المجتمع وتطلعاته وطموحاته ومخاوفه وانجازاته واخفاقاته . هكذا يستولى بلزاك على اهتمام القاريء .

والميزة الأساسية للشكل الصحفي الجديد – حسب وولف – أن القاريء يعلم ان ما يتحدث عنه الصحفي قد حدث فعلاً في الواقع، وان هذا ليس ثمرة خيال الكاتب .

الصحافة الجديدة في الميزان

ان معظم النصوص التي اشتملت عليها «أنطولوجيا الصحافة الجديدة» ممتعة حقاً (نتاجات ترومان كابوتي ونورمان ميلر وهانتر تومبسون). ولكن لا يمكن القول أنها مكتوبة وفق التقنيات أوالقواعد الأربع التي تحدث عنها (وولف) في دراسته، وبضمنها نصوص (وولف) نفسه .

صحيح أن وولف يؤكد أنه لا توجد أية قواعد مقدسة للصحافة الجديدة، ولكن ثمة بون واضح بين النتاجات المنشورة في الأنطولوجيا وبين القواعدالمذكورة. والغريب في الأمر، أن وولف سمح لنفسه في الملاحظات التي كتبها في (الأنطولوجيا) حول نصوص كل من كابوتي وميلر، أن يوجه لهما نصائح حول كيفية كتابة قصة ناجحة! رغم أن هذين الكاتبين العملاقين كانا، يتصدران الصف الأول من الروائيين الأميركيين في النصف الثاني من القرن العشرين. ويقال بأن وولف كان متأثراً برواية كابوتي الوثائقية «بدم بارد» سواء خلال عمله في الصحافة أو بعد اتجاهه لكتابة روايات من هذا النوع. ثم أن الكثير من الكتاب الذين ساهموا في الأنطولوجيا لم يعتبروا أنفسهم من الصحفيين الجدد، ولم يكن العمل الصحفي بالنسبة الى كابوتي أو ميلر عملاً اساسيا بل نشاطا جانبيا، فهما روائيان قبل أن يكونا صحفيين. يقال أحياناً ان اسلوب الصحافة الجديدة لا يصلح للموضوعات السياسية والأقتصادية، والعكس هو الصحيح، لأن العديد من الصحفيين الجدد كتبوا نصوصا واقعية بأسلوب أدبي حول الحرب في الفيتنام وعما يحدث في عالم البزنس.

خلال العقود اللاحقة تخطت الصحافة الجديدة حدود الولايات المتحدة الميركية وأخذت تنتشر في الصحافة الأوروبية، وفي صحافة العديد من بلدان العالم . ويطلق على (الصحافة الجديدة) أحياناً في ايامنا هذه اسم (الصحافة السردية) أي صحافة التحقيقات والنصوص الوثائقية الطويلة نسبياً، المصاغة باسلوب أدبي ذي وضوح وجمال والتي تنشر في العادة في المجلات التي تخاطب المثقفين. وثمة مجلة روسية اسمها (ستوري – القصة) متخصصة في هذا المجال. ورغم ظهور الأنترنيت والصحافة الرقمية – التي تنشر النصوص القصيرة الواضحة بعيدا عن التقنيات الأدبية – الا أن الصحافة الجديدة أو السردية تشهد في أيامنا هذه ازدهاراً، مما يدل على ان هذا الأسلوب أو النمط الصحفي، لم تكن ظاهرة عابرة أو نزوة لعدد من الصحفيين، بل اثراءا للصحافة الجادة والأدب الواقعي في آن واحد .

خصائص المحتوى الأعلامي الجاذب

ما هي أهم خصائص المحتوى الأعلامي الأكثر جذباً للأنتباه في أي وسيلة اعلامية ؟. ما الذي ينبغي توافره في المحتوى لكي يدفع القاريء، ليس الى مجرد الأهتمام به، بل الرغبة في أشراك الآخرين في متعة قراءته ؟ هل يبحث القاريء عن الفائدة أم المتعة ؟

هذه أسئلة ظلت محيرة ومبهمة الى وقت قريب، رغم انها اثارت اهتمام العديد من الفلاسفة والمفكرين والكتّاب، الذين حاولوا تفسير انجذاب القاريء أو السامع الى محتوى معين، ومنهم أرسطو، الذي بين في سنة (350 ق.م). ان الخطبة – وهي المحتوى الذي كان شائعا في ذلك الحين – لكي تكون مقنعة للسامعين وتترك انطباعا قوياً لديهم، وتدفعهم الى الرغبة في روايتها للآخرين، ينبغي ان تتوافر فيها ثلاث خصائص في آن واحد، وهي «الأخلاق والمنطق والعاطفة». واذا كان خطاب المتكلم يتسم بهذه الخصائص، فمن المرجح أنه سيكون قادراً على التأثير في الجمهور المتلقي للرسالة، واقناعهم بآرائه ووجهة نظره .

وما يزال استنتاج أرسطو يتمتع بأهمية قصوى في ايامنا هذه. وينطبق الى حد كبيرعلى أي محتوى، بشتى صوره في وسائل الأتصال والأعلام المتنوعة .

ومن اجل التأكد من صحة استنتاج ارسطو، يمكن للقاريء أن يلقي نظرة على المواقع الألكترونية لأهم الصحف والمجلات العالمية، ومواقع التواصل الأجتماعي - التي أتاحت الفرصة للقاريء لتمرير المقال، الذي حاز على أعجابه الى من يريد من أصدقائه ومعارفه،

بمجرد الضغط على زر واحد أو التعليق على المقال وأغنائه – ليرى بنفسه أن المقالات والمواد الصحفية المختلفة، الأكثر قراءة وارسالا وتعليقاً، تتوافر فيها هذه السمات الثلاث، التي حددها ارسطو بنظرته الثاقبة، وتحليله المعمق لخطب الساسة والقادة في زمانه.

تجربة عملية

قام البروفيسور جونا بيرغر (Jonah Berger) أستاذ التسويق في كلية وارتون لإدارة الأعمال في جامعة بنسلفانيا، بدراسة عملية تبادل المحتوى الأعلامي بين القراء. وحلل نحو 7000 مقالة، منشورة في الموقع الألكتروني لجريدة (The New York Times) خلال ثلاثة أشهر متتالية، في محاولة منه لمعرفة أهم الخصائص،التي تتسم بها المواد الأكثر تداولا بين الجمهور المتلقي. مع الأخذ بنظرالاعتبار عدة عوامل منها، تأريخ النشر،وعدد القراء، والجنس، وحجم النص ، ودرجة تعقيده .

اكتشف **بيرغر** سمتين اساسيتين تحددان مدى نجاح المقال،وهما، مدى ايجابية فكرة المقال الرئيسية. و مدى قوة المشاعر الأيجابية، التي تثيرها لدى القاريء، مثل (الفرح، والفخر، والأهتمام والعاطفة)، على النقيض من المقالات، التي تثير المشاعر السلبية (الغضب، الاحتقار، والاشمئزاز). ولكن اذا كان المقال مثيرا ويتعلق بفضيحة مدوية، فأنه ينتشر بسرعة رغم أنه قد يثير مشاعر الغضب أو القلق .

ولكن ينبغي أن نتذكر ان ما يبعث على الفرح او الفخر لدى الناس، الذين ينتمون الى فئات عمرية او شرائح اجتماعية او مهن او ثقافات أو أديان متباينة، يكون في اغلب الأحيان مختلفا. لذا ينبغي للكاتب الصحفي أن يعرف الجمهور المستهدف جيداً، ولمن يوجه الخطاب ومن دون معرفة ذلك لن يلقى أي اهتمام بما ينشره من مواد .

وللتحقق من صحة استنتاجاته قام **بيرغر** بتجربة عملية وعرض على طلابه محتويات أعلامية شتى، وطلب من كل واحد منهم أختيار ما يروق له من محتوى، ويود ارساله الى أصدقائه، وقد تبين أن الطلاب كانوا أكثر استعدادا لتبادل القصص والصور المضحكة، التي تثير المشاعر الايجابية، من المقالات الجادة، كما تبين انهم تبادلوا غالبا مقالات تثير الغضب والسخط أو الأنزعاج من المقالات حول نفس الموضوع، ولكن مكتوبة بلهجة أكثر هدوءاً.

ومن المثير للاهتمام، ان **بيرغر** عندما حاول التلاعب في صياغة العناوين، وتغييرها من السلبية إلى الأيجابية وجد أن العناوين الأيجابية أكثر جذبا للطلاب .

ويقول **بيرغر** في كتابه المعنون (Contagious: Why Things Catch On? – العدوى: لم الأشياء تجذب ؟)

ان النتائج التي توصل اليها تنطبق ليس فقط على الأفكار والآراء فقط، بل أيضاً على الترويج الأعلامي للسلع و المنتجات الصناعية. ويبدو أن هذا هو الهدف الأساسي من كتابه أي مساعدة الشركات في الترويج لمنتجاتها . ولكننا نعتقد أن الأفكار والآراء أو المواد الصحفية وبضمنها المقالات شيء، والدعاية للمنتجات شيء آخر. كما أن (بيرغر) ينظر للموضوع من وجهة النظر النفسية والعاطفية للمتلقي الغربي، التي قد لا تنطبق على المتلقي الشرقي. ولا شك أن آراء (**بيرغر**) مثيرة للجدل، فهو لا يعير أي أهمية لمدي جودة المقالات التي تم ارسالها، من حيث القيمة الفكرية، وأسلوب المعالجة، وصياغة المضمون، أو باختصار السمات، التي تتصف بها المقالات التي تابعها على مدى ثلاثة أشهر .

ولكي نوفي الموضوع حقه من الدراسة، سنتناول في السطور اللاحقة، أهم الخصائص التي تتميز بها المقالات الأكثر اثارة لأهتمام القاريء.

المقال بين المتعة والفائدة

ان حلم كل كاتب، وكل صحفي، هو الأنتشار الواسع والسريع لكتاباته بين الجمهور القاريء، ولكن ينبغي له، قبل كل شيء ان يعرف هذا الجمهور جيداً، لأن ما يعجب المثقفين، قد لا يعجب من يبحث عن المقالات الخفيفة الممتعة، التي لا تضيف شيئا الى ما يعرفه القاريء. واذا نظرنا حولنا سنجد أن الشباب من الجيل الحالي يقبلون على الأعلام الجديد – الذي أصبح جزءاً من حياتنا اليومية – بشغف ويتفاعلون معه بحماس، مما يوحي للوهلة الأولى بأنهم مهتمون بالقراءة، فهم لا يفارقون (الآيباد) و (الآيفون) او الأجهزة الذكية الأخرى، ولكنهم في الحقيقة، لا يبحثون عن المعرفة، بل عن المتعة . وما يقرؤنه لا يلبث في الذهن .

قبل أكثر من ثمانين عاماً ، كتب احمد حسن الزيات، مقالاً بعنوان «أدب اللذة» وكأنه يصف ما يقرأه الشباب هذه الأيام. يقول الراحل الكبير «انه الأدب الذي يلذُّ ولا يُفيد، ويَسوغ ولا يُغذي، ويَشغل ولا ينبِّه، كالذي تقرأه في أغلب الصحف وفي بعض الكتب من غرائب الأخبار، وطرائف النوادر، وتوافه المعارف، مما يَجذبكَ عَرضُه ويلذُّك تصويره، ويُلهيك موضوعه، فإذا فرغتَ من قراءته وصحوتَ من خِدره، لا تجد له أثرًا في نفسك، ولا حاصلاً في ذهنك» .

نحن نعيش اليوم في عصر الثورة الرقمية، ولا أحد يقرأ المقالات الجادة الرصينة، سوى عدد محدود من المثقفين، الذين

يجذبهم مضمون المقال و اسلوب معالجته وحسن صياغته ويلبي حاجاتهم الروحية، واهتماماتهم الفكرية .

نعود فنسأل: اذن ما هي أهم خصائص المقال الجيد الذي يجمع بين الفائدة والمتعة وينبه الذهن ولا يخدره، ويلبث في الذاكرة لمدة قد تطول أو تقصر ؟

المقال الجيد لا يثير الأعجاب فقط، بل ينبه الذهن، ويحرك قطاعا عريضا من القراء، الذين لهم وجهات نظر مختلفة حول الموضوع الذي يتناوله.

لكل مقال سريع الأنتشارعدة خصائص فريدة تميزه عن المقالات الأخرى المكرسة للموضوع ذاته، نوجزها في ما يلي

1 – حسن اختيار الموضوع

لا قيمة لمقال لا يضيف جديدا الى ما يعرفه القاري عن الموضوع، ولن يهتم به عندما لا يشبع رغبته، أي ان الكاتب يجب أن يكون ملما تماما وبعمق بالموضوع الذي يتحدث عنه في مقاله، اما اذا عجز عن ذلك فله أن يبين وجهة نظره حول موضوع ساخن في هذه اللحظة، أو مثير للجدل، ولا يوجد حوله اتفاق في الرأي ويمكن تناوله من جوانب عديدة .

2 – الحفاظ على الوحدة بكافة مظاهرها

ينبغي ان يتضمن المقال – أي مقال – فكرة رئيسية واحدة فقط وليس فكرتين أو ثلاث، وتجنب الأستطراد أو التطرق الى ما ليس له علاقة بفكرة المقال، لكي لا يؤدي ذلك الى تشتيت أفكار القاريء. ولا تقتصر الوحدة على الفكرة الرئيسية، بل يشمل أيضاً،

وحدة الزمان (أختيار صيغة الماضي أو الحاضر أو المستقبل) ووحدة المكان ان تطلب الأمر. ووحدة طابع المقال هل هو جاد، أم ساخر تهكمي أم فكاهي. ووحدة ايقاع النص، وعدم القفز من ايقاع الى آخر. لأن لكل نص جيد ايقاع معين، ومن لا يحس بأيقاع النص الذي يكتبه لا يمكن اعتباره كاتباً .

3- العنوان الجاذب

يلعب عنوان المقال دوراً بالغ الأهمية، وأحياناً دوراً حاسما في مدى اجتذاب القاري، واثارة فضوله، وهو من أهم المعايير التي تحدد له، ما يقرأ، وما لا يقرأ . وينصح خبراء الصحافة بأن يكون العنوان واضحاً وصريحا يدل على مضمون المتن، ولكننا نعتقد ان هذا الرأي قد عفا عليه الزمن الى حد كبير. ولو راجعنا اليوم عناوين المقالات المنشورة في أهم الصحف العربية والعالمية، نرى أن كل عنوان ينطوي على بعض الغموض المحبب، الذي يدفع القاريء لأستجلاءه من خلال قراءة المقال .

4- الفقرة الأفتتاحية

الفقرة الافتتاحية (بالإنجليزية: lead أو led paragraph) وتكتب بحروف متميزة وبارزة تحت عنوان المقال، وتسبق النص الرئيسي، والهدف منها، هو اعطاء القارئ الفكرة الرئيسية التي يدور حولها المقال أو دعوة موجهة اليه لمعرفة المزيد عن الموضوع، وينبغي ان لا تزيد الفقرة الأفتتاحية عن عدة جمل، يقرأها المتلقي ويقرر بينه وبين نفسه، ان كان سيواصل قراءة المادة بكاملها . وهناك العديد من الطرق للفقرة الإفتتاحية، الذي يوحي للقاريء بأنه

سيفقد كثيراً ان لم يواصل القراءة حتى النهاية . وينبغي أن تتضمن حقائق مشوقة ومثيرة للأهتمام ، أو يطرح سؤالاً ما، أو يطلب من القارئ أن يتخيل شيئا مما يثير أهتمامه. وهو سيفعل ذلك لا شعوريا، ومن ثم يريد أن يعرف ما هو القصد من ذلك.

5– العرض الشيق

القدرة على عرض الموضوع بشكل منسق، وصياغته بعناية وعلى نحو سلس وجميل، متضمناً العنوان الناجح والأستهلال الجاذب، وتقسيم المادة الى فقرات ذات معنى، ووضع العناوين الفرعية لها، أو ترقيمها، كل ذلك كفيل بنجاح المقال ولفت الأنظار اليه، لأن القاريء المعاصر لم يعد يتحمل قراءة عدة صفحات دون فواصل، وسرعان ما ينتقل لقراءة مواد أخرى، أو يغادر الموقع الألكتروني أو يطوي الصحيفة الى غير رجعة.

6 - حل المشكلة

المقال الأستقصائي الجيد يقترح حلاً لمشكلة معينة. والكاتب أو الصحفي الذي يدرك أهمية التواصل مع الجمهورالمستهدف، يحاول التعرف على حاجات الناس وتلبيتها. وبتعبير آخر عرض مشاكل المجتمع واقتراح الحلول لها .

7– أضافة مسحة من الفكاهة على النص

المقال الرتيب يمل منه أصبر الناس، والكتابة المتجهمة، او اليابسة اوالمكتوبة بلغة المواعظ، منفرة للقاريء. لذا يفضل اضافة قليل من الفكاهة أو المرح الى المقال، والأستعانة ببعض الصور، والمقارنات، أوالنوادر، او أبيات الشعر، أو الأقوال المأثورة، أو الحكم

والأمثال وحتى بعض النكات، كل هذا يضفي على النص جمالا ويخفف من عناء القراءة .

8 - التوقيت الصحيح لنشر المقال

المقال الساخن المرتبط بحادث معين أو مسألة آنية، يفقد قيمته ويتقادم اذا نشر بعد فترة وجيزة، قد لا تتعدى عدة أيام أو أسبوع واحد على أكثر تقدير، لأن الأحداث تتلاحق، ووتيرة الحياة أصبحت سريعة في المجتمعات الحديثة، وهي في تغير متواصل، وهذا ينطبق ليس على المقالات فقط، بل أيضاً على الأخبار والتقارير والأستطلاعات والتحقيقات والحوارات الصحفية. أما المقالات التحليلية وخاصة الفكرية منها، فأنها تحتفظ بقيمتها لفترة أطول بكثير .

9 – حسن الخاتمة

الخاتمة لا تقل أهمية عن الأستهلال. ولكن ينبغي اجتناب تلخيص الفكرة الأساسية للمقال في نهايته، لأن القاريء الذكي، الذي قرأ المتن، لا يحتاج الى مثل هذا التلخيص، الذي يفسد عليه متعة القراءة. وربما خير ما يختتم به أي مقال هو اقتباس قول مأثور أو حكمة بليغة يتناغم مع مضمون المقال، الذي يبقى عالقاً بذهن القاريء لبعض الوقت. واذا كان النشر في موقع الكتروني له حقل للتعليقات، فأن الخاتمة الجيدة يشجع القاريء للتعليق على المقال وربما أرساله الى الأصدقاء والمعارف.

الطريق الى القاريء يبدأ من العنوان !

العنوان يقدم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النص، وفهم ما غمض منه، اذ هو المحورالذي يتوالد ويتنامى ويعيد انتاج نفسه، فهو – ان صحت المشابهة – بمثابة الرأس للجسد .

الكاتب المغربي محمد مفتاح

في خضم التغييرات المتسارعة للتكنولوجيا الرقمية، والتدفق الأعلامي المتواصل، لم يعد لدى القاريء العادي متسع من الوقت لقراءة، ولوجزء يسير من المقالات المنشورة، سواء في الدوريات الورقية المطبوعة أوعلى المواقع الألكترونية، وبضمنها مواقع التواصل الأجتماعي على شبكة الأنترنيت. ولم يعد حتى القاريء المتخصص في الأعلام، أو الكاتب السياسي، ناهيك عن القاريء العادي، يقرأ الصحيفة من الغلاف الى العلاف، كما كان الأمر قبل العصر الرقمي، بل يمر على صفحاتها بعينيه، ولا يستوقفه الا العنوان المثير للأنتباه، او الجذّاب أو الصارخ، الذي يتلائم مع خلفيته الثقافية، وآرائه الفكرية، وذائقته الأدبية، ونطاق أهتماماته. ويقرر بينه وبين نفسه، أي مقال يستحق القراءة ؟، فيختار ما يناسبه ويهمل بقية المقالات .

وتشير نتائج الأستبيانات الصحفية لعدد من مراكز البحوث الأعلامية في العالم الى ان القاريء العادي يقرأ نص مقال واحد من بين كل خمس مقالات، ويمر مرور الكرام على عناوين المقالات الأخرى، ليس بسبب ضيق الوقت فقط،أو لأنها غير جديرة بالقراءة، بل لأن عناوينها لا تشجع على قراءة نصوصها، فهي تبدو له، اما

ركيكة أومملة، خصوصاً في المواقع الألكترونية، التي لا تظهر على صفحاتها الرئيسية سوى عناوين المقالات، أو بضع جمل افتتاحية لها، وينبغي النقر على العنوان لقراءة المتن في صفحة جديدة .

العنوان واجهة المقال، أو بطاقته التعريفية، ومفتاح الدخول الى النص، والمدلّ بكلماته وصياغته على مضمونه. من هنا يتبين لنا، ان وظيفة العنوان الرئيسية هي استمالة القاريء وتحفيزه على قراءة المقال، وينبغي ان تكون بدايةَ المقال أيضاَ جذابة وشائقة ومغرية، وهي اكثر أهمية من مئات الكلمات التي تليها، لأن البداية السيئة، التي لا تقدم للقاريء فكرة أو معلومة جديدة، أو رأياُ جديداُ كالعنوان الممل، كلاهما لا يشجع على الأستمرار في قراءة المقال .

ونرى على هذا النحو، إن نجاح أي مقال يعتمد الى حد كبيرعلى العنوان المثير للأنتباه والبداية الشائقة، حيث يخيَل الى القاريء ان نص المقال سيكون شائقاً وقيماَ. ولا شك ان جودة النص يعتمد على موهبة الكاتب وسعة ثقافته ورشاقة أسلوبه. وينبغي ان يكون النص جيدا مثل عنوانه. اما اذا كان النص مخيباً لظن القاريء، فأن الأخير يفقد ثقته بالكاتب والصحيفة في آن واحد.

في الصحف العربية تتولى «هيئة التحرير» أختيار عناوين الأخبار والتقارير والتحقيقات وتترك عناوين المقالات لكتابها، أما في الصحف الغربية الكبرى، فثمة اتجاه يرى ضرورة أن يكون هناك محرر متخصص في العناوين مهمته قراءة الموضوعات ووضع عناوين لها، وهو في المعتاد صحفي متمرس. لأن مهارة اختيار العناوين لا تأتي من فراغ، ولكن وليدة تجارب وخبرات طويلة في المعالجة الصحفية .

اختيار عنوان المقال

يلعب العنوان دوراً مهماً وأساسياً في تحقيق النجاح لأي معالجة صحفية، وبخاصة مقالات الرأي. وهو يعكس ذائقة الكاتب الصحفي ومهنيته. والعنوان الصحفي الجاذب هو الذي ليس فيه تكرار للصفات والأحوال وحروف الجر، التي ليس لها داع، أو لا تضيف بعداً معلوماتياً وجمالياً الى المتن. ولكل كاتب طريقته الخاصة في كتابة المقال، وأختيار العنوان المناسب له .

فالبعض يختار العنوان اولا، ثم يشرع في كتابة المتن. أي ان العنوان يحدد للكاتب الأطار العام لمقاله، وهو اطار مقيد لحرية الكاتب وتدفق أفكاره بأنسيابية وسلاسة، رغم أنه (أي الأطار) يساعد الكاتب في التركيزعلى الفكرة الأساسية للمقال وعدم خروجه عنها بأستطرادات زائدة عن الحاجة .

والبعض الآخر يشعر بصعوبة اختيار العنوان قبل الأنتهاء من كتابة النص بأكمله .وقد يغير العنوان مرات عديدة قبل ان يستقر رأيه على عنوان محدد !

إن كتابة مقال جيد عملية طويلة نسبيا، وقد تستغرق من بضعة أيام الى عدة أسابيع. ولهذا السبب من المفضل ان يختار الكاتب عنواناً (مؤقتاً) لكي لا تتشتّت أفكاره، ويفقد تركيزه على الموضوع، ثم يشرع بكتابة مقاله. وكلما طرأت في ذهنه فكرة جديدة يدونها، ثم يستمر في عمله. وبعد الأنتهاء من كتابة المقال وصياغته، يدقق محتوى النص ويستخلص الهدف منه، والرسالة التي يود ايصالها الى القاريء، ويتمعن في مدى ملائمة العنوان (المؤقت) للمتن، ويلجأ الى

تغيير العنوان الأولي مرات عديدة قبل ان يستقر رأيه على عنوان محدد من بين بدائل عديدة، شريطة ان يكون العنوان مدلاً على ما في داخل المتن. وهذه الطريقة تجمع محاسن الطريقتين الأولى والثانية .

وفي كل الأحوال ينبغي ان يتسم العنوان بالجاذبية والأثارة، ولتحقيق هذا الهدف يجب ان يكون مختزلاً ومكثفاً، يعبرعن محتوى الموضوع في أقصر صيغة ممكنة ولا يتجاوز بضع كلمات .

أنواع العناوين التحريرية في الصحافة التقليدية الرصينة

العنوان الجيد يجب أن يعطي القارئ غير المتخصص فكرة عن محتوى المقال بسهولة ويسر،أو يحمل معلومات جديدة عن الموضوع المصاحب له ويتصل بالفكرة الأساسية للمقال.

ثمة أنواع كثيرة من العناوين، سنتطرق ألى اهمها في ما يلي

1 – العنوان التعريفي: ويستخدم عموما في المقالات والدراسات والبحوث ويعبر عن الفكرة الأساسية للنص أو يلخص استنتاجاته النهائية.

2 – العنوان الوصفي: وصف مركز للموضوع، بحيث يجذب الأنتباه لقراءة المتن. وهو النوع الأكثر شيوعا في المجلات بشتى أنواعها .

3 – العنوان الأستفهامي: أقل شيوعا، ويعرض الموضوع في شكل سؤال مهم ومثير ويهم الجمهور .

4 – العنوان النقدي: ويشير الى اتخاذ الكاتب موقفاً من الأحداث ويستخدم في المعتاد في الحوارات والتحقيقات الصحفية والمقالات النقدية .

5 - العنوان المقارن: ويكون على اساس المفاضلة بين الافكار والاراء، ويعتمد على عنصر المقابلة بين حقيقتين او اكثر من الحقائق المتصلة بالموضوع .

6- العنوان المثل او الحكمة: ويكون على شكل حكمة معروفة،اومثل معروف لدي القاريء، شريطة أن ينسجم وطبيعة المضمون الذي يحمله المتن .

7- العنوان المقتبس: ويستخدم في المعتاد للحوارات والمقابلات الصحفية، ويكون مقتبساً من تصريح المسؤول او الشخصية، التي يتم اجراء الحوار معها. أو اختيار جملة معبرة من نص المقال كعنوان له، وهذا الأختيار له محاسن عديدة، لعل أهمها ان العنوان في الوقت الذي يشف محتوى النص، تكتنفه غلالة خفيفة من الغموض المحبب أحياناً.

8 - العنوان الطريف: ويهتم بالجانب الطريف في الموضوع بحيث يثير ذلك اهتمام القراء واجتذابهم للقراءة.

ما ينبغي تجنبه في أختيار العناوين

1 - الكليشيهات التي تتردد بكثرة في الكتابات والمعالجات الصحفية .

2 - العنوان الطويل. ويفضل الا يزيد العنوان عن سطر واحد او عشر كلمات كحد أقصى .

3- «العنوان الأعمى» وهو العنوان الغامض، الذي لا يدل على مضمون المقال، ولا يفهم منه الموضوع الذي يتحدث عنه الكاتب. مثل (رسالة إلى الخبراء) .

4 – تضمين العنوان معلومات و معاني أكبر مما يتضمنه نص المقال .

4 – العنوان الرنان الذي يدعو القاريء لاكتشاف ما يريد كاتب المقال أن يوصله للقراء من رسائل، مثل «هبة من السماء» أو «درة يغداد» وما شابه ذلك .

5 – الكلمات التي تعطي أكثر من دلالة .

كيف اصبحت الصورة قوة محركة للصحافة ؟

يقول المثل الروسي: «من الأفضل ان تشاهد مرة من ان تسمع مائة مرة». ويقابله في المعني، المثل الأنجليزي (A picture paints a thousand words) أي ان «صورة واحدة تساوي الف كلمة» .

الصورة في الصحافة الورقية

الصورة في الصحيفة ليست مجرد صورة، بل طريقة أخرى لسرد النص المصاحب لها وتأكيده . . لذا على الصحيفة الأهتمام بجودة الصور واختيار الأفضل منها، والتي التقطت بذوق فني رفيع ومهارة حرفية .

الصورة وسيلة رائعة لجذب الأنتباه، ولكن هذا لا يعني ان تكون لأي نص منشور صورة مصاحبة له، بل تكون مصاحبة للمواضيع الساخنة ، أو المواد التي تعالج قضايا مهمة .

الصور التي تظهر الحركة هي دائما مثيرة للاهتمام، اكثر بكثير من اللقطات الساكنة المملة. لذا فان صور الناس على خلفية الاحداث افضل دائما. وينبغي على المصور الصحفي ان يظهر تداعيادت الحدث، او الظاهرة، او المشكلة،التي يغطيها وتاثيرها في الناس العاديين .

هكذا كان الأمر منذ نشر اول صورة فونوغرافية بدائية في الصحافة الورقية التقليدية وحتى يومنا هذا، التي بلغت فيه تكنولوجيا التصوير درجة عالية من الدقة والأتقان والجمال. ومنذ ظهورالصحافة الشعبية، وصحافة التابلويد، وصحافة الأثارة، اخذت

الصورة تحتل مكان الصدارة فيها، فهي تعتمد – الى حد كبير – على الصور المثيرة الجذابة، المليئة بالحركة والحيوية للفت الأنظار، لأن القاريء، يطالع اول ما يطالع من صحيفته العناوين والصور.

ان العنوان المصاحب للصورة يؤدي دوره كاملا اذا كان لا يكرر المعلومات التي يمكن استخلاصها من الصورة وحدها، بل يضيف اليها معلومات جديدة اوتعليقات ذكية لمّاحة. وعلى أية حال فان على المراسل او المحرر المسؤول، ان يضمن العنوان اقصى ما يمكن من المعلومات المركزة .

اما الصورة المصاحبة لاي تغطية اخبارية او مقال فأنها تكون غامضة من دون وجود عنوان لها، ومن دون الاجابة على الأسئلة، التي قد تطرا في ذهن القاريء – المشاهد . من ؟، أين ؟، متى ؟، كيف ؟، ولماذا ؟. لأي سبب ؟ وغيرها، والتي تعجز حتى أكثر من صورة الأجابة عنها .

ان طبيعة العلاقة بين الصورة والنص والمساحة التي يشغلانها في الصحيفة يعتمد بطبيعة الحال على نوع المطبوع والهدف من النشر ..

ان صورة بعينها يمكن تأويلها على نحو مختلف، حسب النص المصاحب لها، وتصميمها الجرافيكي او طريقة نشرها في هذه الوسيلة الأعلامية أو تلك .

الصورة في الصحافة الألكترونية

بظهورالصحافة الألكترونية أكتسبت الصورة اهمية متزايدة، وتلعب دورا لا يقل عن دور المعالجة الصحفية النصية، في توضيح

المحتوى وأغناءه. فالمتصفح يمر بعينيه على المقال او الخبر محاولا ادراك ان كان يسنحق القراءة. لذا على الصحيفة الألكترونية ان يستوقف نظر المتصفح على الفور بشيء ما، واكثر الوسائل فعالية – هي الصورة الجذابة المثيرة للأنتباه .

والصورة أشد وقعا، وأكثر فعالية من مقطع (الفيديو)، لأن المتصفح يصرف في العادة حوالي 15 – 20 ثانية في الأقل، قبل ان يتمكن من مشاهدة بداية المقطع، ثم ليقرر ان كان سيستمر في مشاهدته حتى النهاية. هذا اذا كانت سرعة الأنترنيت كافية لمواصلة المشاهدة دون انقطاع اوعدم الأنتظار لتحميله. ولكي يتحمل المتصفح كل ذلك، يجب ان يكون مقطع الفيديو مهماً وممتعاً، اما الصورة فأنها تتحدث عن نفسها بنفسها ولا تحتاج من المتصفح بذل أي جهد يذكر.

ولدي مقارنة الصورة بالنص، نرى ان كتابة النص الجيد تتطلب موهبة وخبرة متراكمة على المدى الطويل، ومعرفة بدقائق اللغة واسرارها، او معرفة القواعد اللغوية وإتقان الأملاء الصحيح في الأقل، فى حين ان التقاط الصور امر في غاية البساطة والسهولة. وفي وقتنا الراهن اصبح من الممكن التقاط الصور ذات الجودة الممتازة بواسطة الهواتف الذكية، التي تسهل ايضاً عملية ارسال او تبادل الصور، إن كانت متصلة بالشبكة التي توفر هذه الخدمة.

كما ان شبكة الأنترنت خلقت فرصا كثيرة للتفاعل ونشر الصور .فمواقع التواصل الأجتماعي،وبضمنها موقع (تويتر) كانت في بداية تطورها تعتمد على النصوص في المقام الاول. واصبحت الصور ركنا من اركان اقتصاد هذه المواقع بعد ظهور الهواتف الذكية، وانتشارها

والتي تتوافر فيها امكانية التقاط صور ذات نوعية عالية. وثمة اليوم مواقع للتواصل الأجتماعي متخصصة في نشر وتبادل الصور مثل موقع (Instagram)

الصورة اكثر الوسائل بساطة وشمولية، لنقل رسالة معينة على الفور، الى اكبر عدد ممكن من الناس، في حين تتطلب الرسالة النصية، معرفة اللغة واحيانا حتى الترجمة من لغة الى أخرى. ولهذا فأن الصورة، هي الانسب للانترنت المفتوح على العالم بأسره، فالصورة مفهومة دون الحاجة الى معرفة اية لغة. والمواقع التي تعتمد على الصورة والتطبيقات المتعلقة بها مربحة اقتصادياً أيضاً.

قراءة النص المكتوب على الشاشة عملية متعبة احيانا، وتتطلب الأنتباه من قبل المستخدم. أما الصور فيمكن تقليبها ومشاهدتها الواحدة بعد الأخرى لساعات من دول ملل أو كلل. ومن دون التفكير طويلاً حولها. وأضافة الى ذلك، يقوم عدد كبير من المستخدمين، بإرسال صور للمواقع الألكترونية والمنتديات لغرض نشرها مجاناً. ومن دون أي مردود مادي.

لغة التصوير

الصور التي يرسلها المستخدمون من كافة انحاء العالم الى المواقع الألكترونية المختلفة وفي مقدمتها موقع الـ (فيسبوك) تشكل صورة عالمنا اليوم بكل ما فيه من انماط الحياة في لحظة معينة. وثمة ظاهرة جديدة تمتاز بها عصرنا وهي ظاهرة (SELF) التي تعكس احدى سمات عصرنا الاناني .فعندما يلتقط الشخص لنفسه صورة بكامرته، فأنه يود تقديم نفسه وشخصيته المختلفة عن الآخرين الى العالم .

ونظراً للدور المتعاظم الذي تلعبه الصورة في العمل الصحفي، يتساءل العديد من خبراء الأعلام عما اذا كان من الواجب على الصحفي ان يتقن مهارة التصوير أيضاً ولا يكتفي بالمعالجة الصحفية النصية .

وخلافا للوصف النصي او الكلامي، الداخل الى الوعي الانساني بتسلسل منطقي متتابع وببطأ نسبي، فأن المعلومة المرئية (الصورة) بفضل وضوحها وخصوصيتها تنطبع في الذهن على الفور، فهي قادرة على التاثير بقوة عاطفية كبيرة في القاريء أو المشاهد. وعلاوة على ذلك، من المعروف جيدا، ان الصورة الستاتيكية (المستقرة، الثابتة) تمتلك خاصية الانطباع على نحو عميق ولزمن طويل في الذاكرة البشرية.

ويبدو ان هذه المميزات وغيرها دفع البعض من منظري الاعلام الى القول ان لغة التصوير لغة عالمية لجميع الشعوب والبلدان .

وثمة مقولة مشهورة للمصورالاميركي المشهور ادوارد ستايهين (1879- 1973) يؤكد فيها «ان صورة واحدة يمكن ان تحل محل عشرة الاف كلمة، بشرط ان تكون مصحوبة بعشر كلمات»

ان وجود نص الى جانب الصورة، يساعد على قراءة الموضوع، واستيعابه على نحو اعمق وافضل، بأستثناء الصور الفنية المعبرة الملتقطة من قبل مصورين محترفين على درجة عالية من المهارة والأتقان، والتي تعبر عن الفكرة من دون الحاجة الى اي نص تفسيري.

انتهاك وحدة المعني بين النص والصورة

إن تاريخ الصحافة زاخرة بامثلة على اللبس والغموض، وسوء الفهم، الناجم عن انتهاك وحدة المعني بين الصورة والنص المصاحب

لها، وبتعبير آخر، بين ما توحي به الصورة من معنى، وبين مضمون النص المدون. والأسوأ من ذلك تزوير معنى الصورة على نحو متعمد، عن طريق نص، يختلف في معناه ومغزاه، عما تدل عليه الصورة. ولدينا مثل صارخ على هذا الأنتهاك: يقول المفكر الراحل ادوارد سعيد في كتابه «تغطية الأسلام»:

خصصت مجلة «تايم» موضوعها الرئيسي للاسلام بتاريخ 16 ابريل 1979، وزينت غلافها بلوحة للفنان الفرنسي جيروم تصور مؤذنا ملتحيا يقف على مئذنة ويدعو المؤمنين بوقار الى الصلاة. وكانت اللوحة تتميز بالتنميق الشديد والمبالغة الصارخة مثل جميع فنون الاستشراق، التي شهدها القرن التاسع عشر، ومن دلائل التناقض الزمني، ان تكون هذه اللوحة الوقورة مزينة بكلمات لا علاقة لها بها، وهي «احياء الأسلام». ولم اجد افضل من هذا الغلاف للدلالة على الفرق بين موقف اوروبا، وموقف امريكا تجاه موضوع الاسلام، اذ حولت المجلة لوحة هادئة زخرفية، كانت تعتبر في اوروبا جزءاً من الثقافة العامة، لا اكثر، الى صورة قادرة – بفضل الكلمتين المضافتين – على الدلالة على ما يشغل العقل الأمريكي لحد الهوس. لذا فأن النص المصاحب للصورة يمكن ان يؤدي الى تغيير او حتى قلب معنى الصورة الحقيقية التي لا تشوبها شائبة.

والى جانب التضليل المتعمد، ثمة التحيز الناجم عن كيفية اختيار لحظة وزاوية التصوير،او تحريف الصورة بالرتوش، او المونتاج عن طريق الفوتو شوب.

صحف بلا صور

قبل بضع سنوات اعتقلت السلطات الجورجية ثلاثة مصورين مشهورين

بتهمة التجسس لحساب الأستخبارات الروسية، بينهم المصور الشخصي للرئيس الجورجي السابق سكاشفيلي . واحتجاجا على هذا الأعتقال صدرت صحف المعارضة في اليوم التالي، وهي خالية من الصور، وظلت المساحات المخصصة لها خالية، على غير العادة، وادرك القراء أهمية الصور في الصحافة، لأن تلك الصحف بدت غريبة الشكل، وكأن شيئا ما ينقصها، وغياب الصور قللت حتى من أهمية النصوص المنشورة فيها .

وقد تكررت هذه التجربة في صحيفة «ليبارسيون» الفرنسية التي حجبت كل الصور، من عددها الصادر في 14 اكتوبر سنة 2013 احتجاجا على هضم حقوق المصورين، وعدم تقييم جهودهم على النحو المنشود . وكما كان الأمر في جورجيا أظهرت الأطارات الفارغة مدى اهمية الصور في الصحافة، سواء أكانت صحافة ورقية أم الكترونية .

دروس وعبر من تجربة صحفية ناجحة

صحيفة روسية أسهمت فى صنع الأحداث وتغيير الواقع

لا تكتسب الصحيفة – أى صحيفة – أهميتها ونفوذها من سعة انتشارها، وحضورها فى الساحة الأعلامية فحسب، وانما أيضا وربما فى المقام الأول من مدى تأثيرها فى اتجاهات الرأى العام، وتعبيرها عما يشغل اذهان القراء، من قضايا تمس حياتهم ومستقبلهم، ومدى اسهامها فى تغيير الواقع نحوالأفضل. وانطلاقا من هذه الحقائق، يمكننا القول ان الدور، الذى نهضت به، صحيفة «ليتراتورنايا غازيتا» أى «الصحيفة الأدبية» الروسية، كمنبر – عظيم الشأن – للنخب الفكرية والثقافية في الإتحاد السوفيتي خلال العقود الأربعة الأخيرة من القرن الماضي، لا نظير له فى تأريخ الصحافة العالمية.

تأسست «ليتراتورنايا غازيتا» فى عام 1926 كصحيفة تمثل الأدب السوفييتى الوليد، ثم اصبحت الصحيفة المركزية الناطقة بأسم «اتحاد الكتاب السوفييت» بعد تأسيس الأتحاد المذكور فى عام 1934. وقد ظلت طوال أكثر من ربع قرن محدودة التأثير والنفوذ، فى ظل الرقابة الأيديولوجية المتزمتة. وبعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى السوفييتى، الذى انعقد فى اكتوبرعام 1956، وخطاب نيكيتا خروشوف الشهير فى هذا المؤتمر، حول مآسي العهد الستالينى، وفى أجواء الأنفتاح النسبى فى فترة ما عرف بـ (ذوبان الجليد)، حدث تحول مهم فى سياسة الجريدة وتوجهاتها، وطرأ تغيير كبير فى تحريرها واخراجها. وصدر أول عدد من الصحيفة فى عهدها الجديد مع بداية عام 1957.

لقد اراد المخططون الآيديولوجيون فى قيادة الحزب آنذاك ايجاد (صمام أمان) لتصريف بخار الغليان الذى طال احتباسه، ومخاطبة المثقف الذكى والمستقل التفكير، الذى تنتابه الشكوك حول مصداقية الصحافة الرسمية،وما تنشره حول الأنجازات المتتالية فى شتى الميادين. ولكن الواقع أرحب دائما مما يفكر فيه المخططون، فقد تحولت الصحيفة تدريجيا الى منتدى فكرى للمثقفين الروس واصبحت صفحاتها ميدانا للحوار الفكرى الخصب بين هؤلاء المثقفين، وأخذت تنشر نتاجات الكتاب المستقلين فكريا، الذين لم تكن السلطة تنظر اليهم بعين الأرتياح، وتتناول بالنقد والتحليل ما تحجم الصحافة الرسمية عن الخوض فيه أوالتطرق اليه، وتثير قضايا تتحاشاها تلك الصحافة، وتنظر الى ما وراء الأفق من فوق رؤوس الرقباء الذين لم يكن يفارقهم التفاؤل الحزبى السطحى.

واستطاعت «ليتراتورنايا غازيتا» بمعالجاتها الذكية، ولغتها غير المباشرة، الحفاظ على خط التوازن الدقيق بين المحظور والممنوع، وخاضت مغامرة معقدة وجريئة فى آن معا، وانتصرت على الرقابة فى نهاية المطاف. ورغم ان (ليتراتورنايا غازيتا) ظلت صحيفة سوفيتيتة تنطق بأسم اتحاد الكتاب السوفييت، ولم تكن قادرة أن لا تكون كذلك، وبصرف النظر عن اسمها، الا أنها أصبحت من الناحية العملية لسان حال المثقفين الروس بكل جدارة. ويمكن القول أن هذه الصحيفة هيأت الأجواء للتغييرات التى حدثت فى الأتحاد السوفييتى فى ما بعد ونعنى بذلك «البريسترويكا» وما أعقبها من تحولات جذرية والأنتقال من النظام الإشتراكي على النمط السوفييتى الى الرأسمالية الليبرالية.

وبعد تفكك الأتحاد السوفييتى وظهور صحف منافسة كثيرة وتردى الوضع الأقتصادى فى البلاد وانحياز «ليتراتورنايا غازيتا» الكامل الى التيار الليبرالى، تقلص توزيعها من خمسة ملايين الى اقل من ربع مليون نسخة. وكان هذا نتيجة حتمية، ليس لأن القارىء العادى لم يكن قادرا على شراء الخبز،ناهيك عن اقتناء الصحيفة، بل لأن «ليتراتورنايا غازيتا» أنساقت كثيرا وأوغلت فى التأييد المطلق للنخبة الحاكمة الجديدة، التى رفعت شعارات الديمقراطية الليبرالية والأقتصاد الحر، فى وقت كان الفساد الأدارى يستشرى فى أجهزة الدولة. ويعانى فيه المواطنون من ضنك العيش نتيجة لتراجع الأنتاج الصناعى والزراعى وارتفاع أسعار السلع الضرورية والخدمات. وقد اعترف - رئيس تحرير الصحيفة الكاتب المعروف يوري بولياكوف – فى مقاله الأفتتاحى لمناسبة مرور (80) عاما على صدور الصحيفة بشكلها الجديد، بأن هيئة تحرير الصحيفة لم تلحظ على الفور أنحراف الليبراليين ولم تفتح صفحاتها – كما كان الأمر فى أواخر العهد السوفييتى – للآراء الأخرى، ووعد بتصحيح هذا الخطأ الفادح، وذلك بجعل الصحيفة مفتوحة من جديد لكل المثقفين، جامعا على صفحاتها كتابا من شتى الأتجاهات والتيارات السياسية والأيديولوجية والأدبية والفنية ومعبرة عن كل تعقيدات المرحلة الراهنة التى يمر بها المجتمع الروسى.

وأردف قائلا: ان حرية الكلمة لا تعنى، حرية فرض رأى معين على الآخرين، بل اتاحة الفرصة لكل انسان أن يعبر عن رأيه الخاص حول كل ما يجرى حوله وله مساس مباشر بحياته ومستقبله وعلى «ليتراتورنايا غازيتا» أن تكون محاورا ذكيا لكل مفكر ومثقف، ومن دون هذا الحوارتظل الصحيفة مجرد أوراق ميتة لا قيمة لها على الأطلاق.

هل تشكل الصحافة المدنية خطرا على الصحافة التقليدية؟

الصحافة التقليدية

الصحافة التقليدية الرصينة، في صورتها الليبرالية الغربية الناضجة، تلتزم الموضوعية والحياد فى نشر المعلومات، وتتخذ دور المراقب الخارجي، الذي يقف فوق التل ولا يهتم كثيرا بما يحدث في الحياة العامة، ولا يقحم نفسه في معالجة المشاكل والنزاعات القائمة في المجتمع، التي يتحدث عنها. أي ان تدفق المعلومات من الصحفي الى المتلقي هو بإتجاه واحد. ولا يوجد أي إتصال مباشر أو تفاعل حقيقي بين الطرفين، إلا في حالات نادرة.

والدور الحقيقى لهذا النوع من الصحافة هو دور الناقل للخبر او المخبر والمتفرج مجسداً المثل العربي المعروف: وما على الرسول الا البلاغ المبين، ثم الإنسحاب بعد ذلك.

هذه الصحافة – ممثلة بنموذجها الأميركي- الأكثر تطورا وإنتشارا فى العالم، تراجع دورها، وأنحسر تأثيرها، في أواخر العقد الثامن من القرن الماضي، وتجلى هذا التراجع فى إعراض القراء عنها وهبوط أرقام توزيعها.

وشرعت المؤسسات الصحفية ومعاهد البحوث الإعلامية المتخصصة في الولايات المتحدة الأميركية بإنجاز مشاريع بحثية وإستقصائية، بهدف الوقوف على الأسباب الحقيقية لهذا التراجع. وتبين ان السبب الرئيسي يعود الى عدم التواصل بين الصحافة وبين الرأي العام، وإبتعاد الصحفيين عن هموم المواطنين ومشاكلهم االحياتية الملحة، وإهمال دورهم وآرائهم.

الصحفي التقليدي يقتصر دوره على تقديم المعلومة، وبما ان مصادر المعلومات أصبحت كثيرة، ومتنوعة للغاية، حيث ان الإنسان المعاصر يواجه يوميا فيضاً من المعلومات، التي لا علاقة لها على نحو مباشر، بما يشغل فكره، وبالمشكلات التي يعانيها، لذا فإن قيمة هذه المعلومات ليست كبيرة لديه، مما يضعف دور الصحفي وتاثيره فى المجتمع، ويؤدي في غالب الأحيان الى إعراض القراء عن أقتناء الصحف، لهذا السبب تحديدا وليس لأي سبب آخر، خاصة ان أسعار الصحف في الغرب، زهيدة أو رمزية، بالقياس الى متوسط دخل الفرد في الدول الغربية . فهي لا تعتمد على المبيعات من أجل تغطية تكاليف إصدارها، بل على الإعلانات في المقام الأول، وثمة العديد من الصحف، واسعة الإنتشار توزع مجانا .

الصحافة التقليدية في الغرب، ترتبط بمصالح النخب السياسية والإقتصادية، وتنقل آراء وأخبار هذه النخب أولا بأول. يقول أحد الصحفيين الأميركيين: «إن المؤسسات الرسمية - والتي يطلق عليها اسم «الصدر الكونكريتى الأعظم» - هى التى تغذى يوميا الصحفيين، الذين لا يهتمون كثيرا بما يقوله المواطن العادي.»حقا ان المواطن البسيط، قد لا يقول شيئا مهما، ولكن على الصحفي ان يصغي اليه جيدا، ليس من اجل الحصول على المعلومة فقط،، بل الأهم من ذلك، في سبيل فهم جوهر المشكلة التي يعاني منها .

الصحافة المدنية

ظهرت خلال العقدين الأخيرين، ممارسات صحفية جديدة، تختلف الى حد كبير عن الصحافة التقليدية منها، الصحافة المدنية

(Civic Journalism)، أو صحافة المجتمع المدني (Community Journalism)، أو الصحافة العامة (Public Journalism)، وهي مسميات لنمط جديد من الصحافة، ظهر لأول مرة فى الولايات المتحدة الأميركية، قبل حوالى عشرين عاما، وأنتقل فى ما بعد الى العديد من البلدان المتقدمة. وتتشابه مفاهيم هذه الأسماء في نظر خبراء الصحافة في الوطن التأريخى لظهورها – الولايات المتحدة الأميركية – في حين أنها تتباين الى هذا الحد أو ذاك في البلدان الأخرى، ولم تتحول بعد الى مصطلحات مستقرة تماما، نظرا لتباين تطبيقاتها في البلدان المختلفة، بسبب طبيعة النظام السياسي القائم، وسقف الحرية الصحفية المتاحة، والتطور الثقافي في هذا البلد أو ذاك.

ويخلط بعض الكتاب في العالم العربي، بين الصحافة المدنية – وهي صحافة أنتشرت قبل ظهور الأنترنيت – وبين صحافة المواطن (Citizen Journalism)، التي تعد أحد أشكال الصحافة الألكترونية، والتي ظهرت الى الوجود بفضل الشبكة العنكبوتية.

الصحافة التقليدية تكتفي بالحصول على الحقائق الجاهزة – ان صح التعبير– وتحديد المواقف منها. أما في الصحافة المدنية، فأن القراء والصحفيين معا، هم الذين يحددون محتوى الصحيفة.

هذا النمط الصحفي الجديد لا يكتفي بتغطية الأحداث والمشاكل القائمة في المجتمع، كما تفعل الصحافة التقليدية، بل يضطلع بدور أهم من ذلك بكثير، وهو التفاعل المتعدد الجوانب للصحفيين مع الجمهور القارىء، عن طريق الأستطلاعات والمسوح، ومجموعات النقاش، وتنظيم الندوات والأجتماعات، وتحليل البيانات

من اجل تحديد الأبعاد الحقيقية للقضايا السياسية والأقتصادية والثقافية، التي تهم المجتمع، وأستخلاص النتائج الصحيحة بشأنها، وطرح الحلول المناسبة لها. وهذا لا يعنى ان الصحفيين يفقدون حقهم في التعبير عن آرائهم، لأنهم طرف أساس في هذه العمليات.

يروق للصحفيين – العاملين في الصحافة التقليدية - كثيراً، الحديث عن الحرفية والمهنية في العمل الصحفي، ولكن المهنة الصحفية في تغير مستمر، وأهم هذه التغييرات هو الأنتقال من الصحافة اللامسؤولة الى الصحافة المسؤولة، من دور الصحفي التقليدي المتفرج على الأحداث، والناقل لمشاكل المجتمع الى الصحفي الملتزم بقضايا المجتمع، الذي يتحمل مسؤولية أجتماعية ومهنية وأخلاقية، ويسهم في الجهود الرامية الى تعزيرالمجتمع المدني. وهذا لا يعني بأي حال من الأحوال، الإنحياز أو التخلي عن الموضوعية والحياد، لأن الهدف المشترك الذي يسعى اليه الطرفان – الصحيفة والجمهور - هو تنشيط المجتمع المدني، وتعزيز الروح الجماعية، وترسيخ الديمقراطية، دون موقف مسبق من هذه القضية أو تلك أو الإنحياز الى أية جهة كانت.

حسب علمي – وأرجو أن أكون مخطئاً - ليس لدينا، لا في العراق، ولا في دول الشرق الأوسط لحد الآن صحافة من هذا النوع، ولكني على ثقة أنها ستظهر إن عاجلا أم آجلا، إن كنا نعيش حقا في عصرنا الراهن ولسنا على هامشه، كما كنا طوال دهور طويلة.

الصحافة المدنية، صحافة جادة ومسؤولة، تضع كل طرف أمام مسؤولياته (الجمهور – الصحافة – السلطة) مما يسهم فى إيجاد الحلول السريعة لقضايا المجتمع الملحة والمشاركة في صنع القرارات.

القارىء العربي العادي، يعرف اليوم عن الساسة والتطورات السياسية اكثر مما يعرف عن جاره او منطقته او مكان عمله. نحن منغمسون في مطبخ السياسة اكثر من الأندماج والتفاعل مع مجتمعنا. لقد توقف كثير من الناس عن الإهتمام بالأشياء التي تمس حياة كل منا، توقفوا عن لعب دورهم الإجتماعي الفاعل، وربما كان أحد أسباب ذلك، عدم وجود صحافة مدنية عربية بالمعنى المتعارف عليه عالميا لهذا المصطلح ..

اذا كنت – أيها القارىء العزيز- من القراء المواظبين على قراءة الصحف الجادة وأردت التمييز بين الصحافة المدنية والصحافة التقليدية، فما عليك الا أن تختبر إحساسك في يوم لم يتسن لك فيه قراءة صحيفتك المفضلة، سيخالجك شعور بأنك تفتقدها، وانك أصبحت خارج أحداث المجتمع، الذي تعيش فيه وتتفاعل معه، رغم وجود وسائل اعلامية أخرى كثيرة في متناول اليد، مثل هذه الصحيفة ضرورية للناس، ولتعزيز وتعميق الديمقراطية. أما اذا لم يساورك مثل هذا الشعور، فإن صحيفتك، لا تختلف عن أية صحيفة تقليدية أخرى، فهي لا تؤثر في المجتمع، ولا تتأثر به، ووجودها، او إختفائها غير مهم لك، وربما للآخرين أيضاً .

هل انتهى زمن الصحافة الورقية ؟

1- الصحافة الورقية في أزمة

شهدت الصحافة الورقية أو المطبوعة، خلال السنوات الأخيرة ازمة حقيقية،أخذت تتفاقم من سنة الى اخرى، فى معظم أنجاء العالم، وخاصة في الدول الغربية المتقدمة، نتيجة لثورة الأتصالات والمعلومات، وظهور شيكة الأنترنيت. وتتمثل هذه الأزمة فى عزوف الكثيرمن القراء، عن أقتناء أو مطالعة الصحف الورقية و نشؤ جيل جديد، لم يعد يتعامل مع الورق، وفي تغيّر أنماط الأهتمام والقراءة لدى مجتمع المعرفة، وشيوع ثقافة الحصول المجاني على المعلومة. كل هذا أدى الى التراجع المتواصل لمبيعات الصحف الورقية وانخفاض عائداتها من الأعلانات، التي تتحرك بسرعة صوب شبكة الإنترنت .

وقد لجأت مجموعة كبيرة من الصحف ذائعة الصيت الى تقليص أرقام توزيعها و الغاء آلاف الوظائف، وتسريح عدد كبير من العاملين فيها، بينها صحف، واسعة الأنتشارمثل «شيكاغو تربيون»، «بوسطن غلوب» و «انجلوس تايمز»، و حتى المجلة الأوسع أنتشاراً فى العالم وهى مجلة «تايم» الأميركية الشهيرة .

و ثمة صحف اخرى، تحولت الى صحف الكترونية، مثل «كريستيان ساينس مونيتور» التى الغت طبعتها الورقية منذ العام 2008 واكتفت بنسخة رقمية على موقعها على شبكة الأنترنيت .

و اعلنت مجلة «نيوزيك» الأسبوعية الأميركية الشهيرة توقف نسختها الورقية عن الصدور منذ نهاية عام 2013، واقتصارها على

نسختها الألكترونية التى حملت عنوان «نيوزويك غلوبال» من بداية عام 2014. . كما توقفت مجلة «يو أس نيوز أند ريبورت» فى تشرين الثانى من العام 2010، وهى المجلة الثالثة الأوسع أنتشاراً فى أميركا، اضافة الى المئات من الصحف المحلية الأميركية، التى اختفت عن الوجود نهائياً. وتشير الأحصاءات الى ان عدد الوظائف في الصحافة الورقية الأميركية قد تقلص بحوالي 30٪ منذ عام 2008، ومن المتوقع ان تستمر هذه العملية بوتائر أسرع فى المستقبل المنظور.

ولم تقتصر الأزمة على الولايات المتحدة، ففى بريطانيا تم إغلاق صحيفة «ذي لندن بيبير» بعد الإعلان عن إغلاق أكثر من مائة صحيفة محلية، لفشلها في التكيّف مع ظروف المنافسة الحادة مع الإعلام الإلكتروني. ويبدو ان صحيفة «الغارديان» اليومية، واسعة الأنتشار، على وشك ايقاف القطاع المطبوع من الصحيفة و ملحقها الأسبوعى «الأوبزيرفر» نظرا لتكبد هذا القطاع خسارة تقدر بحوالى 44 مليون دولار سنويا.

وقد رضخت ثلاث صحف تقليدية كبرى في لندن الى أن تعتمد مقاسات أصغر لصحفها، تنافسا مع باقي الصحف الأخرى، التي اعتمدت مقياس أقرب إلى مقاييس صحف التابلويد النصفية، كما أضطرت هذه الصحف إلى أن تعيد النظر في تبويباتها الصحافية لتواكب احتياجات سوق الجمهور القارىء.

و في فرنسا توقفت جريدة «فرانس سوار» عن الصدور منذ شهر نوفمبر 2011، واكتفت بنسخة على «الويب»، وكانت الى عهد قريب مؤسسة إعلامية مرموقة، عمل فيها مجموعة كبيرة من الإعلاميين على مستوى العالم .

وفى اسرائيل توقفت صحيفة «معاريف» عن توزيع طبعتها الورقية فى الثالث من ايلول عام 2013، مع استمرار نسختها الألكترونية على شبكة الأنترنيت .

و أزمة الطباعة و النشر شاملة و لا تقتصر على نوع محدد من المطبوعات الدورية. فقد أضطرت أشهر موسوعة عالمية وهى «الموسوعة البريطانية» الى التوقف عن نشر نسختها المطبوعة، و الأقتصار على نسختها الألكترونية. كما تراجعت أرقام مبيعات الكتب الورقية، فى حين أن الكتب الألكترونية تلقى رواجاً كبيراً. وهذا يدل على التحول السريع والواسع من النشر الورقى الى النشر الألكتروني .

وقد أتخذ هذا التحول اشكالا عديدة. فهنالك صحف الكترونية تعد نسخة كاملة موازية لطبعاتها الورقية، وأخرى يقتصر النشر الألكتروني فيها على أجزاء مختارة من المحتوى. ولكن معظم الصحف الألكترونية ليس لها نسخ ورقية رديفة ويقتصر على النشر الألكتروني وحسب .

ويرى الملياردير روبرت موردوك، الذي يملك أكبر امبراطورية اعلامية في العالم – ان صح التعبير – ان القسم الأكبر من الصحف الحالية في المملكة المتحدة ستلاشى في القريب العاجل، ولن يتحمل سوق الصحف أكثر من صحيفة واحدة في كلكل بلد. وقد بينت الأحصائيات والأستبيانات الأخيرة صحة ما ذهب اليه موردوك.

و على النقيض من الدول الغربية، فأن الصحافة الورقية في عدد من البلدان النامية، تشهد طفرة حقيقية . ففي أفريقيا، ارتفع

توزيعها بنسبة 14.2 ٪، وفي أمريكا الجنوبية، وشرق آسيا، الى أكثر من 16٪ خلال السنوات الثلاث الأخيرة .

ويرجع السبب فى ذلك الى محدودية أنتشار الأنترنيت فيها، و يتوقع ان يتوقف هذا الأزدهار ويتراجع عندما يتم أستخدام الأنترنيت على نطاق واسع في العالم النامي .

ويبلغ عدد قراء الصحف الورقية في العالم حالياً نحو 1,7 مليار شخص. ولكن في مقابل هؤلاء فإن هناك حوالي 2.5 مليار من البشر يتعاملون مع الإنترنت وصحافته الإلكترونية، التي تكتسب مزيدا من الجمهور القاريء بمضي الزمن .

ان هذه الأزمة تطرح قضية في غاية الأهمية، وهي مدى قدرة الصحافة الورقية على التكيّف، والتعايش مع التطورات المتسارعة في ثورة الأتصالات والمعلومات وأنعكاسات الأخيرة على ممارسات العمل الصحفي .

2 - عادات القراءة الجديدة

يعتقد البعض ان ما يحدث للصحافة الورقية من تراجع وأنحسار، ليس بمعزل عن الأزمة المالية العالمية الحالية، التي قد تكون مؤقتة وعابرة، ولكن التحدى الحقيقى المتواصل، أمام الصحافة المطبوعة في العصر الرقمي، هو التغييرات الجذرية في عادات القراءة، وأذواق الأجيال الجديدة، التي تتوجه بقوة صوب الصحافة الإلكترونية، حيث ان الكثير من القراء، الذين كانوا يواظبون على قراءة صحفهم المفضلة مع قهوة الصباح، تحولوا الى استخدام

شبكة الأنترنيت لمتابعة الأخبار اليومية، ومعرفة أحدث المعلومات من مصادر متعددة، وخاصة فى مواقع التواصل الأجتماعى والمنتديات.

الجيل الجديد فى عالم اليوم يريد الحصول على الأخبار بسرعة، كما يأكل فى مطاعم «الفاست فوود». وهذا التحول فى عادات القراءة تشكل جوهر الأزمة التى تعانى منها الصحافة الورقية فى العالم .

ان تصفح الصحف الألكترونية أقل تكلفة،والوصول إليها أسهل بكثير من الصحف الورقية. بإمكانك أن تتصفح ما تشاء من صحف العالم ، سواء كنت في بيتك تحتسي قهوة الصباح أو في مكان عملك، أو أي مكان آخر تتوفر فيه خدمة الأنترنيت.

معظم المتصفحين من فئة الشباب، لا يهتمون كثيراً بالمقالات الجادة والتقارير المطولة، ولا بتفاصيل الأخبار، بل يلقون نظرة عابرة على العناوين فى الصفحة الأولى. وهذه حقيقة ادركها فتى انجليزى فى السابعة عشرة من العمر يدعى «نك دي اليوزي»، الذى وضع برنامجاً لتلخيص الأخبار وتحول الى مليونير في فترة وجيزة .

التطبيق الجديد يقوم بتحليل الخبر، ومن ثم تحويله الى نص مكون من 400 حرف، بحيث يحصل المستخدم على الخلاصة المفيدة من الخبر. وحسب قناة «بي بي سي» يشير «نك» إلى أنه وجد أن قراءة التقارير الإخبارية المطولة على شاشة الهاتف الذكي الصغيرة أمر غير مريح، من هنا قام ببرمجة هذ التطبيق.

3 – صحافة تفاعلية جديدة

كتب احد أبرز المدافعين عن الصحافة الورقية في العالم العربي

وهو الصحفي المعروف الأستاذ عبد الرحمان الراشد مقالا في جريدة الشرق الأوسط يقول فيها :

«هل سيصبح مصير الصحف الورقية، مثل مصير الحمير والبغال والخيول في زمن ظهور السيارة؟. هل فعلا حان موعد تفكيك المؤسسات الصحافية والانتقال إلى الوسيلة الجديدة، المواقع الإلكترونية؟ رغم احتفاء الزميلات من المواقع الإلكترونية بأنباء وفيات الصحف المنتشرة في أنحاء العالم، كما لو أن وباء قد أصابها، فإنها قراءة خاطئة في نظري، وستثبت الأيام أن الصحف الورقية باقية لكن بلا ورق. وهنا يقع خلط، وربما تدليس متعمد، بإضافة كلمة الورقية إلى الصحف. فالصحيفة شكلا ورقية لكنها في واقع الأمر محتوى، أي الأخبار والآراء، أي المنتج المكتوب سواء كان على ورق أو جدران، كما كان يفعل الصينيون في الماضي، حيث تعلق ورقة على لوح في الحي ليصطف الناس في طابور لقراءتها بسبب نقص الورق وكثافة السكان، أو مثل الصحيفة اليوم من خلال الصفحات الإلكترونية. (لن تموت الصحافة.. عبدالرحمن الراشد، جريدة الشرق الأوسط، العدد 11509 الصادر في 2 يونيو 2010)

هذا الرأي – رغم احترامنا للكاتب – غير صحيح، لأن الصحافة الألكترونية تختلف عن الورقية ليس فقط من حيث الوسيلة المستخدمة لتقديم المادة الصحفية او للقراءة، بل من حيث المحتوى أيضاً، فالصحافة الألكترونية لا تقتصر على المنتج المكتوب، بل قدمت انواع جديدة من طرق عرض الخبر مثل الفيديوهات، التى تنقل القارئ مباشرة الى موقع الحدث بالصوت والصورة، في الوقت الذي تكون فيه الصحيفة الورقية مضطرة لانتظار 24 ساعة لطبع

الخبر. وقد تكون أحداث أخرى قد جرت بعد ذلك، وبهذا تكون الصحف الورقية قد فقدت اهم عنصر من عناصر النجاح وهو ما يسمى بـ (السبق الصحفي).

ولعل ابلغ دليل على قدرة الصحافة الألكترونية على نشر الأخبار بشكل فورى وعلى أوسع نطاق الى جميع أنحاء العالم، هو ان الرئيس الأميركي السابق باراك أوباما اختار موقع «تويتر» ليشكر مؤيديه بعد فوزه بولاية ثانية، ليكون أول رئيس أمريكي يعلن فوزه في تأريخ سباق رئاسة الولايات المتحدة، عبر موقع للتواصل الاجتماعي. وقال اوباما في تغريده على صفحته في «تويتر»، «شكراً لكم.. لقد حدث هذا بسببكم».

لا تستطيع الصحف الورقية مجاراة الصحف الألكترونية كوسيط نقل جديد للمعلومة والإعلان.والتنافس مع مواقع التواصل الأجتماعي على الأنترنيت – التي تجتذب مئات الملايين من المتصفحين مثل «التويتر»، «الفيسبوك» و غيرهما – فى سرعة نشر الخبر للقارىء وقت حدوثه، و تحديثه لحظة بلحظة، في زمن يتقادم فيه الخبر بسرعة بالغة، واتاحة المجال للقراء للمشاركة فى تحريرها، والتعبير عن آرائهم ومناقشتها مع قراء آخرين بكل حرية على نحو لم يسبق له مثيل .

كل ما تقدمه الصحافة الورقية من محتوى مرة فى اليوم او الأسبوع، تقدمه الصحف الرقمية مجانا وفورا بكل سهولة. ولعل فوز الصحيفة الإلكترونية «هفنجتون بوست» بجائزة بوليتزر للصحافة لعام 2012 – بعد أن تخطّت صحفاً عريقة، لتنال الجائزة الأهم في الإعلام الأمريكي – هو أعتراف صريح بالتفوق الرقمي على الورقي التقليدي.

ولا يقتصر الأختلاف بين الصحافتين على سرعة النشر والوسيلة المستخدمة لنقل المحتوى، كما قد يظن البعض، فالصحافة الرقمية تقدم خدمات اعلامية كثيرة تعجزعنها الصجافة الورقية، منها الندوات وبرامج المحادثة (الشات) و شريط الأخبار المتحرك، اضافة الى عدم وجود محددات لحجم المواد المنشورة، وزمن العرض.

وعلى خلاف الصحافة الورقية فأن الصحيفة الألكترونية بأمكانها تقديم المعلومة الجديدة بالحجم الكامل في أي وقت. كما تسمح شبكة الأنترنيت بتراكم المعلومات وحفظها و أرشفتها. و بدلا من ايراد مقتطفات من المصادر، فأن النشر الألكتروني يسمح للكاتب بوضع روابط لمصادر ومراجع المادة المنشورة، سواء كانت مقالة او دراسة، او حتى كتاباً كاملاً. وبذلك يقتصد الباحث او الكاتب كثيراً في حجم البحث أو الدراسة .

وثمة امكانيات فنية اخرى للصحف الألكترونية منها خدمة الأنتقال الي الأذاعات و القنوات الفضائية، و خدمات (التعليقات، الردود الآنية، ألربط بالمواقع الأخرى والأحصائيات الخاصة بالموقع الألكتروني (عدد القراءات لكل مادة صحفية وتوزيع القراء حسب البلدان و الفئات العمرية والتحصيل العلمي وغيرها من البيانات)، التي تتيح للصحيفة الألكترونية معرفة مواطن القوة و الضعف في عملها من اجل التطوير اللاحق .

4- مستقبل الصحافة الورقية

يتبنى خبراء الأعلام رؤية متشائمة لمستقبل الصحف والمجلات الورقية. ويرى عملاق الصحافة روبيرت مردوك أن الصحافة الورقية سوف تختفي بحلول عام 2020

ويقول مؤلف كتاب «النهاية الحتمية للأعلام الورقى» فيليب مايبرز: «ان آخر مطبوع ورقى سيصدر فى عام» 2043.

كما تشير الدراسات الخاصة بمستقبل الصحافة الورقية إلى أن الصحافيين أنفسهم يعتقدون أن أنها ستكون أقل أهمية في الحياة العامة، في السنوات القادمة.

ولكننا نعتقد ان تزايد قوة وفاعلية الصحافة الألكترونية، لا يعني بأي حال من الأحوال انقراض الصحافة الورقية المطبوعة، في المستقبل المنظور، فما يحدث غالباً هو أن الوسائط الأكثر الحداثة، لا تؤدي بالضرورة إلى انقراض الوسائل القديمة. فالصحافة الرقمية لا تلغي دور الصحافة الورقية، وأنهما يمكن ان يتعايشا مع بعضهما البعض، خاصة وان لكل منهما قارئه الخاص به، ومصدره في إستقاء الاخبار.

ومن متابعتنا للصحافة الرقمية، وجدنا أن الجزء الأكبرمن محتواها، سطحي، مما يؤدي الى قمع حب الأستطلاع الذهنى لدى الشباب، لأنهم يسبحون على سطح بحر من المعلومات الخفيفة، سهلة المنال، من دون النزول الى الأعماق، حيث المعرفة الحقيقية. أما قارىء الصحف الورقية فهو يبحث عن المعلومات المعمقة، والتفاصيل الدقيقة، وكل ما ينمي فكره ويثري ثقافته .

لم ينته بعد، زمن الصحف الورقية في العصر الحاضر، ولن ينتهي قريباً، كما يزعم المتشائمون، ولكن على الصحف تأهيل نفسها للعصر الرقمي و الأطلالة على العالم بنسخ إلكترونيه لها على الأنترنت، لأن المواقع الالكترونية هي نافذة الصحافة الورقية

للقراء. و ثمة مفارقة بالغة الدلالة على حيوية الصحف الورقية، وهي ان العديد من الصحف، التي بدأت بداية إلكترونية فقط، توجهت بعد ذلك إلى الطباعة الورقية. ويبدو ان العلاقة المتبادلة بين الوسيلتين الورقية والرقمية ماضية الى مزيد من التجسير والتكامل، رغم المنافسة الشديدة القائمة حاليا بينهما.

وتجربة موقع «ويكليكس» وهو احد اشهر المواقع الألكترونية العالمية دليل آخر على ان الصحافة الورقية ما زالت مؤثرة جدا، رغم كل ما يقال عن سطوة الأنترنيت، ومواقع التواصل الأجتماعي على وجه الخصوص. فالوثائق السرية التي نشرها الموقع المذكور اتسع تأثيرها كثيراً، بعد لجؤ صاحب الموقع «جوليان أسانج» إلى كبريات المؤسسات الصحفية في جميع دول العالم، لنشر ما بحوزته من وثائق في صحفها المطبوعة بشكل ورقي، لاسيما في بريطانيا، وقد احدث هذا النشر ضجة كبرى اهتزت لها الحكومات في شتى انحاء العالم، وبخاصة الفاسدة منها. وهذا دليل آخر على أن الصحافة الرقمية لن تكون بديلا عن الصحافة الورقية في المستقبل المنظور في الأقل، وان الوقت ما يزال مبكراً للحديث عن اختفاء الصحف المطبوعة قريبا.

الصحافة المطبوعة ما زالت رائجة في الكثير من دول العالم وفي مقدمتها عدد كبير من دول العالم النامي .

وتبقى مسألة جوهرية في غاية الأهمية لا يمكن تجاهلها، أو التقليل من شأنها بأي حال من الأحوال، وهي ان الصحافة الألكترونية تفتقر الى الديمومة التى تتصف بها المطبوعات الورقية.

وان معظم ما نعرفه عن ماضى البشرية مدون بطرق مختلفة على الأشياء المادية: الأختام الأسطوانية، وأوراق البردى، والأحجار، والجلود، ومن ثم الورق. ولولا هذا التدوين لضاع تأريخ البشرية، و لم يكن بوسع العلماء تفكيك طلاسم اللغات القديمة المندثرة. و الأسوأ من ذلك ان التراث الرقمى – ان صح التعبير – يمكن تغييره او تحريفه بسهولة، خلافا للآثار المادية للتأريخ، التي يمكن الوقوف على أي تغيير، أو تحوير، أو تشويه في الآثار المكتوبة، ومنها المطبوعة، أما في النصوص الألكترونية فلا يمكن اكتشاف ذلك أبدا.

الصحافة الورقية عصية على الموت، ولا يزال هناك عدد غفير من الناس – وبضمنهم أصحاب ألمع العقول البشرية وخيرة المثقفين – الذين تربطهم علاقة عاطفية بالورقة و القلم، ولا يمكنهم الأستغناء عن الصحافة المطبوعة، و النشر الورقي طيلة حياتهم، أضافة الى مئات الملايين من القراء، الذين لم يكتشفوا بعد العالم الرقمي، ولا يتعاملون الا مع الورق .

القسم الثالث

صحافة العصر الرقمي

نحو مفهوم جديد للرسالة الأعلامية

يرى بعض المفكرين، وفى مقدمتهم رائد التنظير الأعلامى مارشال مكلوهان (1911 - 1980) أن تأريخ البشرية هو تأريخ أتصال واعلام بين اليشر، وأن التقدم العلمى -التكنولوجى، هو الذى يسهم فى المقام الأول فى تشكيل و تطوير المجتمعات الأنسانية، وأننا من دون فهم الأساليب، التى تعمل وسائل الأتصال بمقتضاها، لن نكون قادرين على أدراك التغيرات الأجتماعية والثقافية،التى تطرأ على المجتمعات المعاصرة. و أن الوسائل الجديدة تشكل أمتداداً لأعضاء جسم الأنسان. فعلى سبيل المثال، يعتبر الهاتف النقال أمتداداً لأذاننا و الميكروفون أمتداداً لألسنتنا، والتلفزيون أمتداداً لعيوننا، و أجهزة الكومبيوتر، توفر الجهد الذهنى وتؤدى الى امتداد الوعى .

و يقول مكلوهان فى كتابه الشهير «كيف نفهم وسائل الأتصال» الصادر فى أواسط الستينات من القرن المنصرم، ان «ان أهمية الرسالة – فى عمليات الأتصال الأعلامية – تكمن في وسيلة نقلها»، بمعنى أن طبيعة كل وسيلة، وليس مضمونها هى الأساس فى تشكيل المجتمعات الحديثة.

فالرسالة الأساسية فى التلفزيون هى البث التلفزيونى، كما أن الرسالة الأساسية فى الكتاب هى المطبوع، لذا فأن المضمون – حسب رأيه – غير مهم، بل المهم هو الوسيلة التى تنقل المحتوى، كما أن لكل وسيلة جمهورا من الناس، يفوق حبهم للوسيلة،اهتمامهم بمضمونها.

التلفزيون كوسيلة تستقطب أهتمام جمهور عريض من المشاهدين، بفضل الشاشة، التى تعرض الصورة والصوت والحركة والألوان فى آن واحد معا. كما يحب الناس القراءة من اجل الأستمتاع بتجربة المطبوع .

و تؤثر وسيلة الأتصال الأعلامية فى المضمون الذى تنقله، وربما تستطيع الوسيلة أن تشوه المضمون، وهذا ما تفعله مثلا الفضائيات الرسمية فى دول التخلف، عندما تحوّل الواقع البائس الى انجازات للحكومة، أوالفضائيات المنحازة، التى تشوه مضمون ما تعرضه وتحرفه، على نحو يتطابق مع أيديولوجية السلطة. لقد تجلت أهمية التلفزيون – عند ظهوره – فى أحتواء الراديو. أما اليوم فأن الشركات الرائدة فى مجال تقنيات الأتصال تسعى الى دمج الخدمات الأعلامية. وتعد شبكة الأنترنيت ذروة الأنجازات التكنولوجية لعصرنا الراهن فى مجال الأتصال والأعلام. بل ان البعض يعتبرها «وسيلة الوسائل الأتصالية» لأنها تطوى بداخلها الوسائل الأخرى، الى جانب استخداماتها المعروفة فى تبادل الملفات، و تصفح قواعد البيانات عبر الشبكة، والبريد الألكترونى، وأفلام الفيديو، وفى الترفيه والدعاية. كما تؤمن التفاعل بين المشتركين، فى ما يسمى بخدمة المؤتمرات وغرف المحادثة، أى الحوار بين أتجاهين أو أكثر .

وصفوة القول، ان شبكة الأنترنيت حلت محل الأتصال أو الأعلام الأحادى الجانب، و ثمة اليوم انجازات تكنولوجية جديدة فى طريقها الى الأنتشار لدمج الأنترنيت و التلفزيون الرقمى، أو الأنترنيت المتلفز لخدمة عدد أكبر من المستخدمين. و كذلك دمج

الهاتف و التلفزيون و الأنترتيت و الكومبيوتر الشخصى النقال فى جهاز صغير .اضافة الى ظهور «الكتاب الألكترونى». ولا نقصد بذلك تحميل الكتب من الأنترنيت و حفظه فى الكومبيوتر، بل الخزن الألكترونى لمحتويات الكتب الورقية فى جهاز الكترونى جديد لا تزيد ابعاده عن أبعاد كتاب ورقى خفيف و صغير، و يمكن حمله فى الجيب، و يتسع لحفظ مئات الكتب، ومن ثم قراءتها فى أى مكان وزمان (خلال السفر او على الشاطىء او أى مكان آخر .بدلا من حمل الكتب الثقيلة) .

و الطريف فى الأمر ان الأنارة فى شاشة هذا الجهاز أشبه بمصباح منضدى مخفى. كما يتميز (الجهاز) بتقنية الحبر الإلكتروني (بورل) الذي يشبه الورق، مما يخفف من حدة إجهاد العين، ولا يؤثر سلبا على النوم في المساء. ويمكن أيضا استخدامه خارجا في الشمس، وهو أمر مهم بالنسبة إلى القراءات خلال العطل. أى ان القارىء يشعر و كأنه يقرأ كتابا عاديا، لأن القراءة عن طريق هذا الجهاز، لا يختلف ظاهريا عن قراءة أى كتاب آخر .

و فى ضؤ ما تقدم، لم يعد تقسيم و سائل الأتصال الأعلامية ألى أتصال أو أعلام مطبوع، و مسموع، و مرئى مقبولا، وهو فى طريقه الى الزوال، و لم تعد «الصحافة» تحتل الا جانبا واحدا داخل المنظومة الأعلامية، يختلف حجمها من مجتمع الى آخر .
و أذا كانت الوسائل «القديمة» تسعى الى أضفاء الطابع الشخصى على عملية التلقى، و تفرض عليه مضامين من طرف واحد فى توقيتات محددة، فأن الوسائل الجديدة تتيح للمتلقى أختيار رسالته الأتصالية – الأعلامية من حيث الشكل و المضمون ووقت الأستقبال.

عملية الأندماج المتواصلة بين الوسائل المختلفة، ليست مسألة تكنولوجية فحسب، بل لها أيضا فاعليتها المؤثرة فى تكوين الأنماط الأجتماعية و الثقافية.

المجتمعات المتخلفة، التى لا تسهم الا بقدر ضئيل، أو لا تسهم على الأطلاق فى التقدم العلمى - التكنولوجى لعصرنا الراهن، تخضع شاءت أم أبت لما ينجم عن هذا التقدم من تغيير فى أنماط الحياة، و وتائرها المتسارعة و هى لحسن الحظ تغييرات ايجابية عموما، يمكن - لو أحسن استخدامها - أن تسهم فى تطوير و تحديث تلك المجتمعات، و لن يتم ذلك، الا بالأدراك الواعى، والفهم العميق لجوهر التقدم العلمى - التكنولوجى المعاصر .

الأنترنيت والتلفزيون

من المنافسة المحمومة الى الإندماج والتكامل

لو ألقينا نظرة على تأريخ وسائل الأعلام، لتبين لنا أن ظهور وسائل إعلامية جديدة لا يعني بالضرورة، إنحسار أو زوال سابقاتها، فعلى سبيل المثال، لم يؤد ظهور التلفزيون الى اختفاء الراديو أو السينما. والتلفزيون لم يختف بظهور الشبكة العنكبوتية (الأنترنيت)، والتأثير القوي لوسائل الاتصال الرقمية في عالم اليوم لم يؤدي الى إلغاء الوسائل الأعلامية التقليدية. ويبدو ان الوسائل القديمة والجديدة، يمكن أن تتعايش وتتفاعل معا، وان تكمل الواحدة منها الأخرى وتساعدها على مزيد من الإنتشار.

ولكن الوسائل القديمة – لكي تحافظ على مكانتها– مضطرة الى التكيّف مع التطور السريع للتكنولوجيا الرقمية، فالتلفزيون اليوم، لم يعد كما كان بالأمس القريب، وإضطر الى إدخال تغيير جذري في البرامج التي يقدمها، من أجل إجتذاب المشاهدين، والصمود أمام المنافسة القوية المتنامية للأنترنيت.

ولا أحد – بين خبراء الإعلام الغربيين يعرف على وجه الدقة، نتائج هذه المنافسة المحمومة، التي ستكون من دون شك طويلة وشاقة. أو بتعبير آخر، هل سيتمكن التلفزيون من الصمود أمام الأنترنيت ووسائل الأعلام الرقمية الأخرى، التي تتصدر اليوم المشهد الأعلامي، وباتت تستحوذ على إهتمام الجمهور، على نحو متزايد، وتقتحم جميع مجالات النشاط البشري، وبضمنها المجالات المتنوعة للأعلام والتثقيف والترفيه؟

الأستبيانات التي أجريت مؤخراً في بلدان متباينة التطور والثقافات، تشير الى نتائج مختلفة . ففي الدول النامية، التي ما يزال انتشار الأنترنيت فيها محدوداً، وتقتصر على النخب الثقافية والعلمية والسياسية والإعلامية، وخاصة فئة الشباب، نرى ان التلفزيون فعّال للغاية، ويحظى بشعبية واسعة، ويعد المصدر الرئيسي للأخبار، وتغطية الأحداث السياسية والرياضية الساخنة، وعرض الأفلام السينمائية والمسلسلات الدرامية والكوميدية، ونقل وقائع الندوات والمؤتمرات والحفلات، وغيرذلك الكثير. أما في الدول الغربية المتقدمة، فأن الصورة مغايرة الى حد كبير، حيث تشير تلك النتائج الى ان شبكة الإنترنيت تتفوق على التلفزيون في النقل الفوري للأخبار وتحديثها على مدار الساعة، والنشر الفوري للآراء والتعليقات، وعرض الصور ومقاطع الفيديو، التي يخرجها وينتجها ملايين من مستخدمي الأنترنيت، أضافة الى أجراء المكالمات الهاتفية المجانية أو لقاء اجور زهيدة، وتقديم خدمات كثيرة للمشاهدين وبضمنها برامج المحادثة (الشات) والبريد الألكتروني، وخدمات أخرىعديدة ومتنوعة .

أزدهار أم تضخم ؟

خلال السنوات القليلة الماضية تضاعف عدد القنوات التلفزيونية في العالم حوالي عشر مرات. ويتوقع أن يستمر هذا النمو في المستقبل المنظور. وهذا يعني ان قطاع التلفزيون عموما يشهد ازدهاراً، أو بتعبير أدق توسعاً أفقياً. ويدل على زيادة الطلب عليه.

فعدد المشاهدين للأحداث السياسية والرياضية الساخنة هائل للغاية وقد تصل الى عشرات وربما الى مئات الملايين من البشر.

وكما قلنا آنفاً فأن التلفزيون أستطاع الأحتفاظ بمكانته بإعتباره الوسيلة الإعلامية الأكثر شعبية في العالم النامي، والصمود أمام المنافسة القوية للأنترنيت في الدول المتقدمة. ولم يكن هذا الصمود أمرا تلقائياً أو هيناً، فقد اضطر الى اجراء تغيير كبير، سواء في محتوى الرسالة الإعلامية أو في صيغ وأشكال تقديم البرامج المختلفة.

ان نشرات الأخبار التي تقدمها القنوات التلفزيونية ما زالت لها جمهور كبير، ولكن الفرق هو ان المشاهدين يعرفون اليوم كل ما يجري في عالمنا فور وقوعها عن طريق الأنترنيت. ولم تعد نشرات الأخبار في التلفزيون، المصدر الرئيسي للأخبار العالمية، فالأنترنيت أسرع في نقل الأخبار أولاً بأول. وأخذت البرامج الأخبارية للتلفزيون في مجاراة الأنترنيت واللجوء الى أساليب أكثر تشويقاً في تقديم الأخبار والتقارير، واشراك المحللين السياسيين – وما أكثرهم هذه الأيام – في التعليق على الأحداث الساخنة ومناقشة تداعياتها المحتملة.

نهاية الرقابة

سمحت شبكة الأنترنيت بوضع نهاية للرقابة الحكومية على مضامين المواد الإعلامية. ولم يعد بأمكان التلفزيون أن يلزم الصمت او يتجاهل بعض الأخبار والحوادث الحساسة، التي تهم الجمهور، في حين تزخر بها المواقع الألكترونية بشتى لغات العالم.

ظاهرة «الويكيليكس» إنتشرت بسرعة البرق. وثمة اليوم مئات المواقع التي تقدم بأشكال مختلفة (نصوص، صور، مقاطع فيديو)، عن كل مايحدث وراء كواليس السياسة والمال. ولا يمكن للتلفزيون بعد اليوم ان يتغاضى عن نقلها، والشيء المدهش في شبكة الأنترنيت هو قدرتها على تخطي الحدود على نحو جعل كل محاولات الرقابة الحكومية بلا معنى. ولكن هذا لا يعني ان الرقابة انتهت تماما، وثمة دول تحاول حجب الشبكة كلياً أو جزئياً (مواقع الكترونية معينة) ولكنها لن تنجح في مسعاها لسببين:

أولهما ان ذلك يعد خرقاً فاضحا لحرية التعبير، ويلقى الأستهجان من المجتمع الدولي – وهذا ما شاهدناه خلال ثورة 25 شباط / فبراير 2011 في مصر حين حاول نظام مبارك قطع شبكة الأنترنيت لبضعة أيام وأضطر تحت ضغط المجتمع الدولي الى اعادتها.

وثانيهما أن الشبكة نفسها لديها الوسائل الكفيلة بتخطي الحواجز والوصول الى أية نقطة في العالم.

ان شبكة الأنترنيت هي الوسيلة الإعلامية الفائقة – لأنها مزيج من ثلاث وسائل إعلامية (مقروءة، مسموعة، مرئية) – التي أضحت اليوم تؤثر في الممارسات الإعلامية والسلوك البشري، حيث لم تعد ثمة اية حدود بين العام والخاص. وسارع التلفزيون الى ركوب الموجة، وأزاحة الموانع والقيود الأجتماعية جانباً. وأخذ كل شيء يتحول الى تسلية وترفيه. وهذا تغيير جدي للغاية.

شبكة الأنترنيت أزالت أيضاً الفواصل، التي كانت قائمة بين الإعلاميين وبين القراء والمستمعين والمشاهدين. وبفضل الأنترنيت

اصبح المتلقي مساهما في المضمون الأعلامي. ويقول الإعلاميون في الغرب (من محررين ومصورين)، بأن تخصصاتهم تتلاشى وينتقل دورهم الى الناس العاديين.

ولا يقتصر الأمر على شبكة الأنترنيت، بل أن كل من يظهر على شاشة التلفزيون يغدو مهنيا. ولم نشاهد من قبل قط هذا العدد الكبير من المحللين السياسيين والخبراء في شتى مجالات الحياة، الذين يتكاثرون كالفطر بعد المطر.

إندماج وتكامل

يمكنك اليوم مشاهدة البرامج التلفزيونية من دون التلفزيون، تستطيع تشغيل جهاز الكومبيوتر ومشاهدة البرامج التلفزيونية المفضلة لديك في الوقت المناسب لك. ومن اي مكان تشاء، من خلال تقنيات البحث والتصفية المتوفرة في الشبكة، مما يدل على ان التلفزيون، لا يزال قوي التأثير لدرجة انه، حتى أولئك الذين لا يحبون الجلوس أمام التلفزيون، يشاهدون البرامج التلفزيونية على شبكة الإنترنيت وعلى الهواتف الذكية.

ولكن التلفزيون اضطر الى أجراء تغيير كبير في المحتوى الأعلامى، الذي يوجد فيه الآن ايقاع اكثر، وصلات مع مواقع التواصل الأجتماعي، حيث يمكن مثلاً مشاهدة جميع برامج التلفزيون على التويتر. وتحميل الأفلام السينمائية ومشاهدتها حتى بعد أنتهاء عرضها في دور السينما، أو على شاشات التلفزيون. والحقيقة هي أن شبكة الإنترنيت أعطت دفعة قوية للتلفزيون، وبعثت فيه دماء جديدة.

كيف سيكون تلفزيون الغد؟

تعمل عدد من شركات تكنولوجيا المعلومات في السنوات الأخيرة على التوصل الى تقنية جديدة تسمح بالتزاوج بين التلفزيون والأنترنيت، وبضمنها شركة (غوغل) التي قامت بطرح تقنية جديدة إسمها «Google TV» قد تكون الأنجح من بين ما تم التوصل اليه حتى الآن. ومن المتوقع ان تطلق الشركة ابتكارها الجديد قريباً على شكل علبة صغيرة توصل جهاز التلفزيون بالأنترنيت، وسيتم مستقبلا انتاج أجهزة تلفزيون تتضمن هذه التقنية، وذلك في اطار تعاون ثلاثي بين شركات (Sony,Intel Logitech). نستخلص من ذلك كله، عدم وجود أي تعارض بين الإنترنيت والتلفزيون، بل تفاعل وتكامل وربما سيندمجان في النهاية.

مسرات العصر الرقمي

يتطلع الأنسان دائما الى تغيير حياته، وجعلها اكثر بهجة و سرورا، والقيام بأدوار يحلم بها. والعاب الكومبيوتر الشائعة اليوم على نطاق واسع، تتيح له امكانية فريدة لتحقيق ذلك، والأحساس بأنه بطل خارق، وان كان فى عالم تخيلى بعيد عن الواقع المعاش. يقول الباحث الهولندى يوهان هويزينغا (johan huizinga) فى كتابه الممتع الأنسان- اللاعب) الذى صدر فى عام (1938): (ليس اللعب حاجة مباشرة للأنسان، بل شىء اضافى، يثرى الحياة، ويضفى عليها حيوية وجمالا، وهو بهذا المعنى ضرورى. اما الكاتب الفرنسى روجيه كايوا، فقد حدد فى كتابه الموسوم (الناس واللعب) الخصائص الأساسية للعب، والتى لا يمكن فصلها عن بعضها لكونها خصائص مترابطة، وفى مقدمتها (حرية الأختيار- التمايز عن الواقع المعاش – رفض المعايير التقليدية – غياب المنفعة المادية – عدم امكانية التكهن بالنتائج مسبقا) ومن وجهة النظر هذه، فأن اللعب يؤدى وظيفة ثقافية مهمة.

كلا النتاجين صدرا قبل عصر الكومبيوتر، ولكنهما يعكسان بدقة خصائص العاب الكومبيوتر ايضا فى يومنا الراهن.

ثمة اعتقاد سائد على نطاق واسع، بأن الأطفال والمراهقين، هم الذين تستهويهم هذه الألعاب، ولكن نتائج البحوث التى نشرتها جمعية IDSA (Interactive Digital Software Association) تثبت ان السواد الأكبر من هواة ألعاب الكومبيوتر،هم من البالغين والكبار. وان نسبة النساء بينهم تبلغ حوالى (40٪)

وقد اصبح الأنتشار الواسع لهذه الألعاب، مثار نقد مرير فى الصحافة الغربية، لما تحويه من لقطات ومشاهد لا تتفق والمعايير الأخلاقية للمجتمعات الحديثة. ولكن هذا التناقض مع المعايير التقليدية موجود فى اساس السلوك (اللعبى) للأنسان - ان صح التعبير – ذلك لأن للألعاب قواعد خاصة بها، قد تكون غير مقبولة خارجها. واللاعب هنا يتقمص دورا معينا لفترة زمنية محدودة، وبأنتهاء اللعبة ينتهى كل شىء. أما الزعم بأن العاب الكومبيوتر تقتل لدى الأطفال الرغبة فى الدراسة، فأن هذه الألعاب – اذا تم اختيارها على نحو صائب – تنمى قدرات الأطفال الذهنية، شريطة ممارستها لفترة معينة، لكى لا تتحول الى ادمان يصعب معالجته. ان مجالات اللعب فى الحياة اوسع بكثير من العاب الكومبيوتر، بل ان نظرية اللعب فرع مهم من فروع الرياضيات المتقدمة، وهى تلعب اليوم دورا خطيرا فى حياة البشر. ومنذ صدور كتاب «نظرية اللعب» لجون نيومان واوسكار مورغينستيرن، فى عام 1944، والذى يتناول بالتحليل المواقف التنافسية، والتكهن بالمواقف المحتملة للأخرين واختياراتهم، من اجل تمكين اللاعب من اختيار البديل الأفضل (بالنسبة اليه)، نقول منذ ذلك الوقت تطورت هذه النظرية بوتائر متسارعة، وانتشرت تطبيقاتها العملية فى شتى مجالات النشاط الأنسانى (الأقتصاد – السياسة – العلوم العسكرية – بحوث العمليات – البيولوجيا – القانون – التجارة – الرياضة ....الخ). وتعد العاب الكومبيوتر تسلية بريئة واحدى مسرات العصر الرقمى، بالمقارنة مع التطبيقات العملية لنظرية اللعب التى تحدد الى حد كبير مسارات التفكيرالستراتيجي فى العديد من القضايا ذات العلاقة بحاضر ومستقبل الأنسان على كوكبنا.

سوبرمان العصر الرقمى

دشن الأسترالى جوليان أسانج (Julian Assange) صاحب الموقع الألكترونى (WikiLeaks) ظهور سوبرمان (Superman) من نوع جديد فى العقد الأول من القرن الواحد و العشرين، حيث أتيح لأول مرة فى التأريخ البشرى لأنسان عادى – لايتمتع بأى صفات جسدية او روحية خارقة، او سحر شخصية كاريزمية، و ليس له اى سلطة او نفوذ سياسى او مالى او اجتماعى – ان يهز المؤسسات السياسية و العسكرية لعدة دول، بينها الولايات المتحدة الأميركية و بريطانيا و أفغانستان و العراق، و ذلك عن طريق نشر مئات الألوف من الوثائق البالغة السرية دفعة و احدة و ألأحتفاظ بالنسخ الأصلية فى أماكن سرية مجهولة و حصينة لا تطالها أيدى السلطات. وفى جعبة أسانج وثائق كثيرة أخرى وعد بنشرها تتعلق بدول كبرى، مثل فرنسا و روسيا و، ربما بدول أخرى ينام حكامها اليوم فى أمان و أطمئنان، ليصحوا غدا على قنابل الفضائح التى يفجرها هذا الشاب النحيل فى وجوههم، فيسلبهم راحة البال، ويرغمهم على مراجعة السياسات التى يتبعونها، والتحقيق فى قضايا انتهاكات حقوق الأنسان، والأعتراف بأخطائهم وخطاياهم علنا .انه الأنسان العادى، سوبرمان مناقض تماما لسوبرمان الفيلسوف الألمانى نيتشة، أى الأنسان الخارق فى قدراته الجسدية و الذهنية، أنه سوبرمان العصر الرقمى الذى خلقته التكنولوجيا المتطورة، و يستمد أهميته وتأثيره الهائل من الوسيلة التى يستخدمها .

البيت الأبيض و الخارجية الأميركية أدانا نشر الوثائق الفضائحية ل، أنه قد يعرض حياة العسكريين الأميركان وعملائهم المحليين فى أفغانستان و العراق الى الخطر. و البنتاجون ناشد أسانج بأعادة و ثائق الجيش الأميركى (المتسربة)، و الكف عن نشر ما تبقى من مثل هذه الوثائق لديه. علما ان اسانج حذف الأسماء من الوثائق المنشورة. ولكن الصور و أشرطة الفيديو توضح بجلاء من هم المتورطون فى جرائم، يرقى بعضها الى جرائم حرب.

ظاهرة اسانج تشير الى ان بوسع اى انسان – فى اى ركن من اركان قريتنا العالمية – ان يستعين بالتكنولوجيا المتطورة وفى مقدمتها وسائل الأتصال الرقمية لأيصال صوته الأحتجاجى الى العالم بأسره متى شاء. هذا الصوت المدوى بات قوة للضعفاء و المضطهدين و المظلومين افرادا و شعوبا فى عالم اليوم .

لقد أتاحت و سائل معقدة للغاية، و لكنها بسيطة الأستعمال مثل الأنترنيت، امكانيات واسعة لملايين الأفراد فى انحاء العالم فى الحصول على المعلومات و تبادلها، وأقامة صلات بين اناس من جميع أنحاء العالم، من اجل تحقيق أهداف محددة مثل الأحتجاج على التلوث البيئى أو النظام الدولى الجديد .

ان التكنولوجيا الألكترونية سلاح ذو حدين، حيث يمكن استخدامها لأهداف سلمية او عسكرية. و تقول صحيفة (لوموند) الفرنسية فى احد اعدادها الأخيرة، ان برنامج (Sky Grabber)، يباع فى الأنترنيت لقاء 25,95 دولار فقط، و لكنه برنامج مهم، وقد أتاح للمتمردين الأفغان والعراقيين السيطرةعلى طائرات أميركية بلا طيار كانت تحاول قصف مواقعهم بهدف القضاء عليهم .

كما ان القوى المتطرفة تستخدم وسائل الأعلام والأتصالات الحديثة، مثل الفضائيات و الأنترنيت، لبث سموم الكراهية، و الخرافات والدجل، والتمييز الدينى والطائفى والعرقى ومعاداة كل ما هو جميل فى الحياة. اما عصابات الجريمة المنظمة، وتجارة المخدرات، فأنها وجدت في هذه الوسائل ضالتها للتواصل و التنسيق السريع فيما بينها لأهداف شريرة.

وبفضل استخدام التكنولوجيا الجديدة، فأن بوسع أى انسان أن يلحق الأذى بقوى عظمى، او يشل حركة الطيران والتجارة الألكترونية، ومجالات أخرى كثيرة تستخدم الأنترنيت و تكنولوجيا المعلومات فى أعمالها .

قبل عشرين عاما كان التهديد الوحيد للأمن القومى الأميركى و الدول الغربية عموما، هو الأتحاد السوفييتى، ولكن العدو اليوم، ربما يعيش فى بيت مجاور، أو حتى داخل العمارة نفسها، ولكن فى طابق أعلى .

السلطة الخامسة

المدونات والمنتديات وشبكات التواصل الأجتماعي، منابر حرة للتعبير عن الرأي والتواصل مع الآخرين، لكل من يتعامل مع الكومبيوتر ولديه أتصال بالأنترنيت، ووسيلة للنقل الفوري لأخبار الحوادث من مواقعها مباشرة بجميع الوسائل التعبيرية المتاحة على الإنترنت (نصوص، صور، تسجيلات صوتية، مقاطع فيديو)،. واحيانا يسبق المدون او المواطن الصحفي، وسائل الاعلام التقليدية في نقل الأخبار. والتدوين وسيلة اعلامية جديدة غير تقليدية، لا تخضع للرقابة، ولا تعرف الخطوط الحمراء أو التابوهات، سوى الرقابة الذاتية التي يضعها المدون بنفسه لنفسه.

اذن. اين هو الحد الفاصل بين المدونين الهواة ونشطاء الأنترنيت، وبين أولئك الذين جعلوا نقل الأخبارمهنة لهم أي الصحفيين ؟ . وهل هذا الحد موجود فعلاً ؟ .

لقد جرت ازاحة الصحافة التقليدية عن عرشها بخطوات تدريجية، ولكن متسارعة ومتواصلة. قبل حوالي خمسة عشرعاماً، كانت شبكة الأنترنيت، لعبة غالية الثمن للميسورين، ولم يكن أحد يتصور بأنها ستكون منافسة جادة للصحافة الورقية، وللراديو والتلفزيون. ولكن كلما تطورت تكنولوجيا الانترنيت، اصبح الدخول الى الشبكة، اسهل واسرع وأرخص، وجرى الاعتماد اكثر على مصدر عالمي جديد للمعلومات لا يحده حدود جغرافية، او رقابة حكومية. ودخلت الصحف والمجلات، وقنوات التلفزيون، والاذاعة الى الشبكة بتأسيس مواقع الكترونية لها. ولكن ظهور مساحات مفتوحة

للتعبير عن الرأي في المدونات و المنتديات المستقلة ومواقع التواصل الأجتماعي، اخذت تنتزع شيئاً فشيئاً من وسائل الاعلام التقليدية قسما من الجمهور. وجاء مشروع (web 2.0) ليسدد ضربة أخرى لوسائل الأعلام التقليدية، وأخذ يحتل قمة احصاءات المشاهدة على الشبكة العنكبوتية .

وهذا المشروع، يتكون من مجموعة من التقنيات والتطبيقات الشبكية الجديدة، التي أدت إلى تغيير سلوك الشبكة العالمية، وذلك بالسماح للمستخدم بأمتلاك قاعدة بيانات خاصة به،على الموقع، بالإضافة إلى قدرته على التحكم بها، وتزويده بأنظمة تفاعلية، تسمح بمشاركته في تفاعل اجتماعي واسع النطاق مع المدونين والمتصفحين الآخرين، وميزات أخرى عديدة، لا نرى حاجة للخوض فيها. وبظهور هذه التقنيات اهتزت الصحافة التقليدية، وكأنها أنتقلت الى المرتبة الثانية. وهي تحاول اليوم التعويض عن خسائرها بأستمالة الجمهور بوسائل شتى، مما حدا بكثير من منظري الأعلام والعاملين فيه، الى التنبؤ بأنتهاء عصر الصحافة الورقية، بشكلها التقليدي، وموتها التدريجي خلال العقود القليلة القادمة وبزوغ فجر الوسائط المتعددة.

ولكننا لا نعتقد بأن هذه التنبؤات سوف تتحقق بحذافيرها، لأن الصحافة التقليدية عصية على الموت، وأخذت تتكيف مع الواقع الجديد المفروض عليها بوسائل شتى، منها الأنتقال الى الشبكة العنكبوتية كلياً او اصدار نسخ الكترونية بموازاة نسخها الورقية، أو التحول الى صحافة مجانية تعتمد على الأعلانات في ديمومتها، او التحول الى صحافة التابلويد، التى ما زالت تلقى هوى ورواجاً لدى القراء .

واذا كانت الصحافة التقليدية فقدت بعض مواقعها، فهل هذا يعني ان التدوين سيحل محلها. وهل يستطيع المدون ان يحل محل الصحفي المهني ؟. وما الفرق الرئيسي بين التدوين والصحافة ؟ .

التدوين هواية لمعظم المدونين، ومهنة لعدد جد قليل منهم لحد الآن .

المدون لا يحتاج الى دراسة الصحافة، كما هو الحال بالنسبة الى الصحفي المحترف. اي شخص يمكن ان يكون مدوناً. بصرف النظر عن امتلاكه الحد الادنى من موهبة الكتابة، والقدرة على التعبير السليم الفصيح عن آرائه. ان كل ما يحتاجه هوالاشتراك في احد المواقع، التي تتيح المجال للمدونين بالكتابة والبدأ بكتابة شيء ما، بين آونة وأخرى. لأن المدونة ليست سجل مذكرات او يوميات عادية، بل نشرات الكترونية غير دورية، والأمرالمهم هنا، هو ان يكون ما يكتبه المدون متاحا لمتصحفين آخرين . ولا يمكن أعتبار من يكتب لنفسه فقط مدوناً.

المدونة شكل اعلامي غير تقليدي، والمدون حر، من الناحية العملية، في ما ينشره. ولا يمكن التحكم فيه أو توجيهه أو فرض أي قيود عليه (ما عدا مراعاة قوانين بلده). ولا يلتزم المدون بجدول زمني معين لأوقات الكتابة، فهو يكتب في أي وقت يشاء، ولا احد يفرض عليه شروطا، او يقيّم محتوى المدونة. واذا كانت هناك تعليقات على ما يكتبه، فأن له الخيار في نشر أي تعليق أو حجبه. أما الصحفي المهني فأنه ملزم بمراعاة المواعيد الدورية لصدور الصحيفة، التي يعمل فيها، وتنفيذ التوجيهات الصادرة اليه من رئاسة تحرير الصحيفة .

المدون غير ملزم بالكتابة وفق شكل معين، او التفكير بسلامة لغته واناقة اسلوبه، ولا يسأل عن محتوى ومصداقية ما يكتبه. وهو حر في تدوين كل ما يحلو له من آراء،وحتى فضائح او وقائع لم تثبت صحتها.

المدون يمكن ان يصرف وقتا طويلا في التدوين، وان تطرق الى موضوع اجتماعي مهم، فأنه يفعل ذلك بمحض ارادته، ولا يتلقى مالا لقاء عمله ، وهو ينغمس في التدوين لان ثمة هاجس شخصي يدفعه لنشر ما يهمه ويشغل باله، من اجل اطلاع الآخرين عليه ويحس بالمتعة من وراء ذلك .

اما الصحفي فأن عليه ان يثبت قدراته المهنية، وان يكون حاصلاً على مؤهل دراسي فيالإعلام، ومعارف اساسية في المجال الذي يعمل فيه. صحيح اننا نجد في صحافتنا وصحافة البلدان الأخرى، العديد من أبرز الصحفيين، الذين، لم يتلقوا تحصيلا دراسيا في مهنتهم، ومع ذلك أصبحوا صحفيين مشهود لهم بالكفاءة والمهنية العالية، ولكن مثل هذه الحالات تظل استثناءاً من القاعدة. الصحفي الحقيقي، وإن لم يكن حاصلا على شهادة في مهنته، فأن لديه في معظم الأحيان شهادة دراسية في تخصص ما، وقابلية للكتابة الصحفية بمستوى جيد. ولكن هذا لا يعني بأي حال من الأحوال، ان أي شخص حاصل على شهادة جامعية في تخصص آخر يصلح ان يكون صحفياً. لأن الصحفي ينبغي له ان يمتلك أضافة الى الشهادة، ما اسميه بـ (هاجس الصحافة). وعندما يتوفر عنده هذا الهاجس الدائم، فأنه يكتسب مهارات كتابية بالجهد والتعب، من خلال تجربته الطويلة في العمل الصحفي.

ولكن اذا كان الشخص بطبيعته ضيق الأفق، ومتواضع الثقافة، أو لا يستطيع شرح افكاره بيسر وسهولة، ويكتب بوضوح وسلاسة وايجاز، او غير قادرعلى التعامل المرن مع الناس من اجل الحصول على المعلومات المطلوبة للمعالجة الصحفية، او لا يبدي اهتماماً بكل ما هو مهم وممتع في هذا الكون، فأنه لن يكون صحفيا ناجحاً.

العمل الصحفي في العصر الرقمي يفرض على الصحفي، ليس فقط ان يكون مثقفاً واسع المعرفة، ولكن ينبغي له ان يعرف لغة اجنبية واحدة في الأقل، ويتقن التعامل مع الكومبيوتر والأنترنيت.

الصحفي - بخلاف المدون - ليس حراً في الكتابة عن أي موضوع يخطر بباله، أو عن أي قضية يشاء (ربما بأستثناء كتاب الأعمدة الصحفية ولكن حتى هؤلاء يلتزمون في العادة بسياسة الصحيفة ولا يحاولون الخروج عنها).

الصحفي يعمل في حقل او قسم معين، أو يكلف بأجراء حوارات أوتحقيقات صحفية محددة، وغير ذلك من أشكال العمل الصحفي. وهي كلها تتم بتكليف من رئاسة تحرير الصحيفة التي يعمل فيها، والتي تحدد الموضوعات المهمة او الساخنة، التي ينبغي تغطيتها في العدد الجديد .

ثم ان الصحفي مسؤول عما يكتبه، وعن مصداقية المعلومات التي يتضمنها المادة المنشورة. وهو مسؤول ليس فقط امام الوسيلة الاعلامية، التي يعمل فيها، بل ايضا امام القراء والناس الذين يتحدث عنهم في ما ينشره .

بطبيعة الحال فأن من حق الصحفي ان يكون له رأيه الخاص، ولكن ينبغي له ان يكون موضوعيا في كتاباته. ولا يحق له ان يؤكد

شيئا،او يتهم احدا جزافا. كل الاستنتاجات التي يتوصل اليها، ينبغي ان تكون مدعومة بالحقائق والادلة. أي اهمال او عدم جدية في تنفيذ مهامه يكلفه والصحيفة التي يعمل فيها غالياً. والحديث لا يدور عن الاضرار المعنوية فقط،بل الاضرار المادية ايضا. حيث ان اي شخص يعتبر ما نشرعنه مساسا به، يمكن ان يقاضي الصحفي ورئاسة تحرير الصحيفة، ويربح الدعوى وتحكم له المحكمة بتعويض مالي كبير .

يتضح مما تقدم، ان الصحفي اقل حرية من المدون. و يبذل جهودا أكبر ولديه التزامات، وعليه مسؤوليات اجتماعية واخلاقية، لذا فأن من حق الصحفي أن يستلم راتباً او اجراً لقاء عمله، والذي قد لا يتناسب دائما مع الدور الذي يلعبه في المجتمع .ةالصحفي يتعلم مهنته طوال حياته، والصحافة بالنسبة الى الصحفي الحقيقي، أكثر من مهنة، أنها رسالة .

وصفوة القول ان الصحافة مهنة والتدوين هواية. المدون يمكن ان يتوقف عن الكتابة بمحض ارادته، ولكننا قلما نجد صحفيا متقاعداً، لانه يكتب مدى الحياة .

ومن الطريف ان نذكر ملخصا عن بعض السجالات التي دارت على المدونات ومواقع التواصل الأجتماعي بين المدونين الهواة والصحفيين المهنيين .

يعتقد الصحفي ان المدون يجهل اساسيات مهنة الصحافة. وان ما يدونه لا تتوفر فيه شروط المعالجة الصحفية الصحيحة. أما المدون، فأنه يعتبر الصحفي موظفا لدى مالك الصحيفة أو تابعاً لصانع القرار الرأسمالي أو السياسي. أي ان أحدهما لا يعترف

بالآخر، وهذا أمر مؤسف، لأن التعايش بين صحافة المدونات، والصحافة الأحتراقية المهنية، يسمح للجمهور الحصول على معلومات شاملة أكثر اكتمالا عن الأحداث .

التدوين والصحافة وجهان للأعلام المعاصر. واذا حذفنا احدهما أصبح الأعلام أفقر وأقل حيوية وتفاعلاً الى حد كبير .

قد يكون للصحفي مدونته الخاصة، التي ينشر فيها ما لا يستطيع نشره في الصحيفة التي يعمل بها. وقد أستخدم صحفي مخضرم مدونته للتفوق على صحيفته. ففي الندوة التي عقدت مؤخرا في المركز الصحفي لمجلس الأتحاد الأوروبي في بركسل تحت عنوان «أثر وسائل الأعلام الأجتماعية في الصحافة» قال الصحفي جان كواتريمرالذي يعمل مراسلاً لصحيفة (ليبراسيون) الفرنسية في بوكسل: «أستطيع أخذ مواد ونشرها على مدونتي، ثم في الفيسبوك وتويتر، لأثبت لصحيفتي أن الناس يرغبون بالقراءة حول هذا الموضوع» .

وأضاف كواتريمر: «أن مدونته ألهمت أحياناً صحيفته، على نشر مقالات عن مواضيع كانت الصحيفة قد رفضتها في البداية».

وأضاف «ان التفاعل مع القراء والمعلقين على المدونة يعطيه افكارا لمقالات ويساهم في عمله» .

اذا كانت صاحبة الجلالة الصحافة سلطة رابعة، تراقب وتقيّم أداء السلطات الثلاث الأخرى، وتنشر ما يسهم في تطويرهذا الأداء، وتنقل المعلومات، التي تهم المجتمع، فأن التدوين قد أصبح بحق سلطة خامسة، تراقب السلطات الأربع مجتمعة بصراحة وشفافية وجرأة .

القسم الرابع

بعض التأثيرات السلبية لتكنولوجيا المعلومات

كيف تؤثر تكنولوجيا المعلومات في قدرة الأنسان على التفكير؟

التغير المستمر لوسائل الأعلام، تحت ضغط ثورة تكنواوجيا المعلومات، يؤثر ليس فقط في طرق الحصول على المعلومات، بل في عملية التفكير أيضاً. واذا رجعنا الى الوراء قليلا، نجد ان اختراع آلة الطباعة سنة 1450م، من قبل يوهان غوتنبرغ (1398- 1468م). قد غير أسلوب تفكير المجتمع بأسره. واجبرالناس لأول مرة على التركيز على افكار محددة، كانت سابقاً، حكراً على النخب العلمية والثقافية ورجال الدين، وأصبحت بعد ظهور الطباعة ميسورة لكل المجتمع. آلة الطباعة لعبت دورا بالغ الأهمية في تطوير نماذج تفكير جديدة غيرت المجتمع في القرون اللاحقة.

واليوم نجد ان شبكة الأنترنيت تلعب دورا لا يقل أهمية عن اختراع الطباعة في تغيير المجتمع. ان أهم ما تتميز به شبكة الأنترنيت عن وسائل الأعلام الأخرى، مثل الراديو والتلفزيون، ليس نقل الصوت والصورة فقط، بل انتاج النص ايضاً .والنص المكتوب يلعب دوراً جد مهم في التطور الفكري والثقافي للأنسان. وحتى وقت قريب كان النص ينتشر بشكله المطبوع، وكان القاريء يغرق في عالم المؤلف و يتأمل أفكاره، وبظهور الأنترتيت أخذ النص ينتشر بشكله الرقمي، كما الصوت والصورة، وبهذا رجع الأنسان الى عادته القديمة أي الى التفكير العشوائي، وتلقي المعلومات على نحو سريع وسطحي. لماذا يحدث كل ذلك؟ يقول العلماء، ان دماغ الأنسان يتمتع بمرونة عالية، ويستطيع التكيف مع الظروف المستجدة. وكان عالم وسائل الاتصال الجماهيري الكندي مارشال ماكلوهان (1911 . 1980) اول من بيّن، كيف أن التكنولوجيا يغيَر وعينا ببطأ ولكن بثبات ..

وقد تم خلال السنوات الأخيرة إجراء بحوث كثيرة في المعاهد والمراكز العلمية المتخصصة، حول تأثير التكنولوجيا الحديثة وبخاصة الإنترنيت في الدماغ البشري .وظهرت كتب عديدة، من بينها، كتاب «المياه الضحلة» The Shallows لنيكولاس كارر. ويعد العلماء هذا التأثير مسألة مهمة وجادة لسببين

– الأول، تعاظم قدرة البحث عن المعلومات،عن طريق محركات البحث في الإنترنيت (غوغل، ياهو، اوبرا، ياندیكس وغيرها كثير) وتلقي كم هائل منها ومعالجتها .

– الثاني، أصبحنا قادرين على القيام بعدة مهام في آن واحد، بأستخدام الكومبيوتر والأجهزة الذكية، مثل كتابة وصياغة نصوص، وإجراء حوارات عبر الشات في الفيسبوك، وتبادل الرسائل عبرالإيميل، وقراءة آخر الأخبار في التويتر. ولكن في الوقت نفسه، نفقد معظم قدراتنا علي الأنتباه و التركيز، والتأمل والتحليل المعمق،. ولن يكون بوسعنا التفكير بهدؤ، حول أمر محدد واحد، ومن يعيش في العالم الأفتراضي أو يقضي ساعات طويلة في تصفح المواقع الألكترونية ونوافذها الكثيرة وروابطها المتعددة، لن تكون لديه الرغبة في قراءة الكتب الجادة و تأمل محتواها .

ان الحصول الفوري على المعلومات، و تدفق تيارات غزيرة ومتنوعة منها، عبر نوافذ كثيرة – عن طريق محركات البحث – قد ادى الى انخفاض القدرة على تذكرها وحفظها لمدة طويلة. ولم يعد لدى المتصفح الوقت الكافي والرغبة في قراءة النصوص المطولة، ولهذا السبب لجأ بعض المواقع الألكترونية الأجنبية الى نشر نصوص، لا يزيد طول كل منها عن (400) حرفاً. ومع كل هذا التأثير السلبي لتكنولوجيا المعلومات، فأن من الصعب العيش بمعزل عن شبكة

الأنترنيت، التي أخذت تقتحم كل مجالات الحياة، و أصبحت النافذة التي يطل منها الأنسان المعاصر على ما يحدث في العالم من حوله، في شتى المجالات الفكرية و العلمية والثقافية والسياسية والأجتماعية، ناهيك عما توفره الشبكة من شتى أشكال التسلية والترفيه.

القدرة على التفكير تعني في المقام الأول استخدام المعارف المتوفرة للتوصل الى استنتاجات منطقية أكثر تعقيداً، واذا أردنا تبسيط الأمر، يمكننا القول ان نوعية الأستنتاجات الفكرية هي حاصل ضرب للمعرفة في القدرة التفكيرية. وبتعبير آخر لا يمكنك الحصول على استنتاجات صحيحة، الا بأستخدام كلا العاملين معاً على حد سواء، وحتى اذا كانت لديك معرفة واسعة، فأنك لن تكون قادراً على تنظيمها بشكل صحيح من دون القدرة على التفكير بنفس المستوى، وفي نهاية المطاف تحصل على كومة مواد مهضومة، الى هذا الحد او ذاك، ولكن مكدسة في كومة غير متجانسة، ومن جهة ثانية مهما كانت قدراتك العقلية عظيمة فأن عملك الفكري لن يكون اكثر من مجرد تعبير عن الرأي، اذا لم يستند الى المعرفة.

الثورة الصناعية الأولى وفرت للأنسان وسائط نقل جديدة مثل القطار والسيارة، وأدت الى اضعاف قدرات الأنسان الجسدية والحركية ، والى تغيير مظهره الخارجي، وقد انتبه الناس الى التأثير السلبي لهذه الوسائط على أبدانهم، ولجأ الكثير منهم الى ممارسة رياضة المشي والركض، لتدريب الجسم، والتغلب على الضعف الذي لحق به. ما يحدث اليوم نتيجة لثورة تكنولوجيا المعلومات، ربما أشد خطورة، لأنه يحرمنا القدرة على التركيز والتفكير، وبعد سنوات قليلة ستكون الحاجة ماسة الى وسائل جديدة لتدريب الدماغ الأنساني .

الأمية الألكترونية

الفجوة الرقمية

نحن نعيش اليوم في عصر العولمة وثورة الأتصالات والمعلومات، حيث أصبح التعميم الرقمي في شتى جوانب الحياة، أحد أهم العوامل الرئيسية لتحديث المجتمعات وتقدم الأمم. وفي الوقت ذاته، أخذت الفجوة الرقمية (Digital Divide) تزداد اتساعا، بين الدول المتقدمة – التي تستخدم أنجازات الثورة الرقمية على أوسع نطاق في الحياة اليومية وفي البحوث العلمية وميادين الأقتصاد والصحة والتعليم ومجالات عديدة أخرى – وبين الدول المتخلفة، التي أخفقت لحد الآن، في توظيف هذه الأنجازات،وفق خطط علمية مدروسة في تطوير مجتمعاتها .

وعلاوة على ذلك، ثمة فجوة رقمية أخرى داخل كل مجتمع. ففي الدول الصناعية المتقدمة، نجد أن الأغلبية الساحقة من السكان تمتلك مهارة أستخدام الكومبيوتر، والبرامج والتطبيقات المتصلة بها، وتتوفر لها امكانية الدخول الى الشبكة العالمية للمعلومات (الأنترنيت) بكل يسر وسهولة، ودونما أنقطاع، وفي شتى الظروف والأمكنة، مع وجود أقلية ضئيلة، لا تحبذ الدخول الي الشبكة لأسباب سنتطرق اليها في الفقرات اللاحقة .

الأمية الألكترونية

أما في الدول النامية، فأن استخدام الكومبيوتر الشخصي، والدخول الى الأنترنيت يقتصرعلى المثقفين والمتعلمين، وأغلبهم من الشرائح الأجتماعية الميسورة والمتوسطة، أما اغلبية السكان فأنها،

وان كانت تستخدم الهواتف النقالة على نطاق واسع، الا أنها ما تزال تعاني من «الأمية الألكترونية». وقطاع لا يستهان به من هذه الأغلبية، يعاني أيضا من «الأمية الأبجدية». إن مفهوم الأمية اليوم لا يقتصر على من يجهل القراءة والكتابة، بل يشمل أيضاً من لا يعرف استخدام الكومبيوتر والأنترنيت. وثمة أكاديميون واساتذة جامعات، يحملون القاباً علمية رفيعة، ولكنهم لا يستخدمون الكومبيوتر، ويهابون شبكة الأنترنيت، ولا يعرفون كيفية الدخول اليها أو استخدامها. وهم لا يدركون انهم اميون، من الناحية العملية، في العصر الرقمي .

الأمية المركبة

(الأمية المركبة) بشقيها الأبجدي والألكتروني، لم تعد مقبولة في العالم الرقمي الجديد، ولدى منظمة اليونسكو والمنظمات الدولية الأخرى ذات العلاقة، برامج طموحة للقضاء على (الأمية المركبة) التي تعرقل تقدم البلدان النامية، في زمن اصبحت فيه تكنولوجيا المعلومات القاعدة الأساسية لمجتمع المعرفة. ولم يعد أستخدام الكومبيوتر مع بزوغ الألفية الثالثة ترفاً، بل اصبح ضرورة ملحة، وعنصرا اساسيا لا غنى عنه في الحياة. وعلى كل انسان معاصر يعيش في عصره وليس في الماضي، أن يمتلك مهارة أستخدامه، وبعكسه يعد في عداد الأميين الذين لا يتيسر لهم الأستفادة من ثورة المعلومات، وكأنهم خارج عصرنا الرقمي الجديد.

الأمية الوظيفية

في عالم اليوم، نرى ان الأنشطة الأقتصادية، والتخصصات العلمية، والمهن الهندسية والطبية وغيرها، تتطلب الى هذا الحد او

ذاك امتلاك مهارة استخدام برامج الكومبيوتر، واجادة التعامل مع الانترنيت. وكل خريج معهد أو جامعة أو أي شخص آخر، يأمل في الحصول على عمل او وظيفة في تخصصه العلمي أو المهني، عليه معرفة المباديء الأساسية لهذا الأستخدام. وقد ظهر في السنوات الأخيرة، مصطلح آخر - شاع أستخدامه لدى الباحثين في الغرب - لا يختلف في مفهومه كثيرا عن (الأمية الالكترونية) وهو مصطلح (الأمية الوظيفية - Functional illiteracy) ويشير الى وجود فئة من الموظفين في مؤسسات الدولة – أي دولة - لا تمتلك المعارف والمهارات الضرورية، التي لا غنى عنها للأداء الوظيفي الجيد على وفق المعايير الحديثة في هذا المجال.

وتشير البحوث الميدانية الي ان أكثر من نصف وقت العمل الوظيفي في المجتمعات المتطورة، يصرف على معالجة ونقل وخزن المعلومات. بمعنى أن الخريجين الجدد من الجامعات والمعاهد ليس في الغرب فقط، بل حتى في بلادنا، لن يجدوا وظيفة اوعملاً ذهنياً او حتى كتابياً من دون اتقان التعامل مع الكومبيوتر والأنترنيت. وينتهي بهم الأمر اما الى البطالة، أو القبول بأي عمل جسدى بعيد عن تخصصاتهم.

وكان رئيس الوزراء الروسي ديميتري ميدفييف - وهو من أشد المنادين بضرورة التعميم الرقمي في جميع مفاصل الحياة – قد حث موظفي الدولة على وجوب الألمام بأساسيات (تكنولوجيا المعلومات) قائلا: «ينبغي الأستغناء عن خدمات الموظفين، الذين لا يعرفون أستخدام الكومبيوتر؟ ان الموظف الذي لا يستطيع انجاز وثيقة بشكلها الألكتروني، أو يخشى أستخدام الكومبيوتر ينبغي الأستغناء

عن خدماته في دوائر الدولة. اننا لا نعين موظفين اميين في المؤسسات الحكومية. واستعمال الكومبيوتر اصبح جزءا مهما من معرفة القراءة والكتابة الحديثة».

باحثون في بركة سباحة

ان الأسباب الكامنة وراء (الأمية الألكترونية) و (الأمية الوظيفية) عديدة ومتباينة لدى الفئات العمرية المختلفة، وقد دلت التجارب العلمية أن قدرة وامكانيات الأنسان في التعلم تقل تدريجيا بتقدم العمر. وان كبار السن يجدون صعوبة في تحصيل علوم واتقان مهارات جديدة وبضمنها اساسيات تكنولوجيا المعلومات وأستخدام الكومبيوتر .

لذا نجد في بلادنا كما في البلاد الأخرى ان عددا كبيرا من كبار السن المتعلمين، بينهم عدد لا يستهان به من أصحاب الشهادات العليا، لا بستطيعون استخدام الكومبيوتر والأنترنيت للحصول على المعلومات التي تهمهم او يحتاجون اليها سواء في حياتهم اليومية، او اعمالهم الوظيفية، او بحوثهم العلمية – وان كان كل هؤلاء، شأنهم في ذلك شأن الأميين، الذين لا يعرفون القراءة والكتابة وأشباههم من أنصاف المتعلمين – يستخدمون الهواتف النقالة بفعالية.

كبار السن من المشتغلين بالأعمال الفكرية والذهنية يعتقدون، ان الكومبيوتر والأنترنيت، لهو ولعب، لا يليق بهم. وان من مستلزمات الوقار والهيبة هو الأبتعاد عن هذه البدع، التي يعجزون عن فك رموزها. ويفضلون اللجوء الى مصادر المعلومات التقليدية (الكتب و المطبوعات الدورية والوثائق الورقية) للحصول على المعلومات التي تتطلبها أعمالهم وبحوثهم.

واذا كانت المصادر التقليدية للمعلومات حوض سباحة أو حتى بحيرة صغيرة، فأن مصادر المعلومات الجديدة، ونعني بها الشبكة العالمية للمعلومات بحر لا يحده أي حدود .

أسباب أخرى لمقاطعة الأنترنيت

ثمة شرائح في المجتمع لا يثيرالأنترنيت أهتمامها، نظراً لأسلوب حياتها، حيث ان طريقة عيشها تستند الى التقاليد والعادات والأعراف. وهي في العادة تتمتع بمكانة اجتماعية، وظروف مستقرة، ولديها علاقات اجتماعية واسعة ووثيقة، ولا يلعب الأنترنيت دورا ملحوظا في حياتها اليومية .

كما لا يشكل الأنترنيت ضرورة حياتية لدى سكان الأرياف في البلدان النامية، الذين لا يتطلب نشاطهم العملي، وطريقة حياتهم، ونمط ثقافتهم أستخدام الأنترنيت. وهذه الظاهرة تشمل سكان الأرياف حتى في بعض البلدان المتطورة ولكن بدرجة أقل بطبيعة الحال، بعض هؤلاء يريد العيش بالطريقة التقليدية ويرفض استخدام الأنترنيت بمحض أرادته، والبعض الآخر، لا تصل اليه خدمة الأنترنيت، لأن شبكات الأتصالات لا تغطي مناطقهم .أي ان السبب تكنولوجي وليس شخصي.

ووفقا لدراسة حديثة شملت (185) بلداً بما فيها العراق، فأن متوسط سرعة الأنترنيت متفاوت من بلد ألى آخر، وحتى داخل البلد الواحد. أكبر سرعة للإنترنت في العالم توجد في هونج كونج، حيث تبلغ هناك 54.1 ميجابت في الثانية بحيث يستغرق تحميل فيلم عالي الجودة 4 دقائق فقط. فالبنية التحتية للإنترنت في هذا البلد أساسها هو الألياف الضوئية بحيث تنتقل الإشارة بسرعة الضوء

وقد حل العراق كالعادة في ذيل القائمة وفي المرتبة 179 بسرعة تحميل بلغت 4.6 ميغابايت في الثانية، أي أقل حتى من دولة جيبوتي التي تصل سرعة الأنترنيت فيها الى 6.6 ميغابايت في الثانية.

وعلى اية حال لا ينبغي المبالغة في اهمية سرعة الأنترنيت، لأنها ليست الا سببا ثانويا في عدم أنتشار الأنترنيت على نطاق واسع، سواء في العراق أو في أي بلد آخر في العالم. والأهم من ذلك هو العلاقة بين (الأميةالأبجدية) و(الأمية الألكترونية)، لأن استخدام الأنترنيت يتطلب معارف يحصل عليه الأنسان في مقتبل عمره خلال دراسته، في حين أن استخدام الهواتف النقالة أبسط بكثير ولا يتطلب تعليما مسبقاً.

ان الأفتقار لأنظمة تعليمية حديثة تواكب الأتجاهات الرئيسية للتقدم العلمي – التكنولوجي المعاصر، هو السبب الرئيسي لـ (الأمية الألكترونية)، وليس تردي الأوضاع الاقتصادية او العادات والتقاليد الاجتماعية فقط. ومن أجل أشاعة الوعي المجتمعي بأهمية تكنولوجيا المعلومات، لا بد من تدريس أساسيات هذه التكنولوجيا، منذ المراحل الدراسية الأولي، كما هو معمول به في الدول المتقدمة، حيث يتم تدريسها كمقرر أساسي الى جانب العلوم الأخرى .

حركات وتيارات مناهضة للأنترنيت

وصفوة القول، أن استخدام تكنولوجيا المعلومات من مقومات تحديث المجتمعات. ولكن ثمة دائما أشخاص لا يستخدمون الأنترنيت. فهل يعني هذا أنهم معزولين عن العالم ؟

لا شك أن مثل هؤلاء ينتمون الى اوساط معينة – لا يشكل فيها الانترنيت قيمة عالية، وهي أوساط ما تزال موجودة في كل انحاء العالم.

وعلاوة على ذلك، ثمة نخب فكرية وثقافية، في البلدان المتقدمة، ترفض العالم الأفتراضي عن وعي وادراك وقناعة، وقد ظهرت في تلك البلدان - التي لن تجد فيها بقعة ليس فيها خدمة الأنترنيت السريع، الا ما ندر، حركات اجتماعية وتيارات فكرية تدعو الى مقاطعة الأنترنيت، الذي يستحوذ على اوقات الراحة، ويحرم الناس من التواصل الأجتماعي الحي مع الأقارب والمعارف وزملاء الفكر والمهنة، ويسبب أحياناً العزلة عن المجتمع أوالكآبة. كما ان قضاء ساعات طويلة أمام الكومبيوتر يؤدي الى قلة الحركة، التي تشكل – كما يقول الأطباء – احدى الأسباب الرئيسية للأصابة بأمراض شتى وفي مقدمتها أمراض القلب .

ورغم الأنتشار الواسع والشامل للأنترنيت، الا أنه ليس مفتاح السعادة والنجاح دائماً، رغم ان الشركات التي توفر خدمة الأنترنيت تحاول أقناع الناس على النقيض من ذلك .

هل الكتابة اليدوية في طريقها الى الزوال ؟

وسائل الأتصال الرقمية، أزاحت الكتابة اليدوية جانباً. وكل من يتعامل مع المعلومات ويستخدم هذه الوسائل في عمله، او حياته اليومية، لم يعد بحاجة الى الكتابة اليدوية، الا نادرًا، وعند الضرورة فقط، مثل كتابة بضعة أسطر في دفتر الملاحظات، أوالتوقيع على مستند أو صك أو صورة، أو كتابة هوامش وملاحظات على كتاب خلال قراءته، وهي عادة متأصلة عند العديد من المفكرين و الكتّاب.

فقد حل الكومبيوتر محل الأوراق الرسمية في أعمال الحكومة، وفي كل مجالات الحياة تقريبا في العديد من المجتمعات الغربية المتقدمة، وثمة اليوم في الولايات المتحدة الأميركية والدول الأوروبية مؤسسات ودوائر رسمية ومنظمات غير حكومية، ومعاهد ومدارس لا يستخدم فيها القلم والورق للكتابة اليدوية على الأطلاق .

و لكن هل الكتابة اليدوية امر مهم حقاً في حياتنا ؟، وهل هي ضرورية للبشر عموماً والمبدعين من الكتاب والشعراء و الباحثين على وجه الخصوص؟ وهل يشكل أختفاؤها التدريجي ضياع نوع حميم من التواصل الأنساني عبر الرسائل المتبادلة بين الأقارب و الأصدقاء و المعارف و وزوال متعة لا تعوض للمحبين، ولمعارف قد يطويها النسيان؟ ففي نهاية المطاف كل شيء يتغير في الحياة ويتطور بمضي الزمن. هل يتحسر أحد اليوم على أختفاء طرق الكتابة القديمة على ألواح الطين، واوراق البردي، والجلود، أو النقش على الصخور أو يتحسر على أنتفاء الحاجة الى الفاكس او الأسطوانات الموسيقية ؟

حقا ان المهم هو المحتوى وليس الوسيلة، و ما هو مكتوب باليد ليس سهلا ارساله أو خزنه. واضافة الى ذلك فأن الكتابة اليدوية ليست سهلة. و لكن من المبكر اليوم، القول بأن الكتابة اليدوية في طريقها الى الزوال .

صحيح ان الأجهزة الرقمية الحديثة تساعدنا على مواكبة العصر، وأنجاز الأعمال على نحو أسرع، ولكن الجري وراء السرعة يفقدنا بعض ما هو جميل ورائع في حياتنا! .

حتى الماضي القريب، كانت الكتابة باليد تعد تطويرا للذات و مفتاحاً لفهم الآخرين و الدخول الى عوالهم. كان البعض يعتقد أن الكتابة اليدوية الجميلة و الصحيحة عامل مساعد للتقدم الوظيفي، والنجاح في الحياة. مثل هذه الأفكار قد تبدو اليوم عتيقة، لمن أعتاد على أستخدام الكومبيوتر، والهواتف الذكية في الكتابة و تبادل الرسائل و الملفات و الصور، ولكن التجارب العلمية أثبتت أن للكتابة اليدوية مميزات لا تتوفر في الكتابة الرقمية.

يقول العلماء أن الكتابة اليدوية، كما الرسم، يسهم في تطوير القدرة العقلية لأنها مرتبطة بالدماغ، أما الدق على لوحة المفاتيح فهي عملية سلبية، بمعنى أنه لا ينشط التفكير الأبداعي، لأن الأصابع تتحرك على لوحة المفاتيح بشكل عشوائي بلا أيقاع، والدماغ يتلقى فقط الضوضاء الذي يمنع التفكير . والكتابة اليدوية أبطأ وتتناسب تماماً مع سرعة التفكير، وضرورية للتعلم، لأنها تتيح للأنسان معرفة أعمق وأكثر رسوخا .

وأثبتت التجربة التي قام بها فريق بحث «فيلاي» في مرسيليا انه يتم تنشيط أجزاء مختلفة من الدماغ عندما نقرأ حروفا تعلمناها

من خلال الكتابة بخط اليد، عن تلك التي يتم تفعيلها عندما نتعرف على حروف تعلمناها من خلال كتابتها بواسطة لوحة المفاتيح. عند الكتابة باليد، تترك الحركات المعنية ذاكرة حركية في الجزء الحسي الحركي من الدماغ، الذي يساعدنا على التعرف على الحروف. وهذا يعني وجود علاقة بين القراءة والكتابة، ويؤكد فريق البحث، أن النظام الحسي الحركي يلعب دورا في عملية التعرف البصري في أثناء القراءة .

و جاء في بحث علمي، أنجز في الآونة الأخيرة، في جامعة «فرجينيا» ان بعض المدارس الأميركية قامت بمحاولة تحسين الخط الرديء لعدد من طلابها و نجحت في ذلك، وهذا التحسن أدى في الوقت نفسه الى تعزيز عملية التعلم، وقدرة الطلاب على القراءة الصحيحة، وتشكيل العبارات، والجمل و تذكر النصوص بشكل أفضل.

الكتابة اليدوية منذ الصغر تسهم في تشكيل الطبع الأنساني، وتطوّر قدرات الأنسان. والخط اليدوي ينم عن شخصية كاتبه ومن الصعب، ان لم يكن من المستحيل تغييره لأنه ميزة فردية، تماثل تماما الميزة الفردية لبصمات الأصابع .

الكتابة هندسة الروح، ونظافة الكتابة من نظافة الروح .

الخط الجميل سمة للأنسان الواثق من نفسه، وبفقدانه نفقد كل روعة و جمال الأحرف التى تشكل الجزء الأهم من تراث الشعوب.

أغلق التلفزيون وابدأ الحياة

ليس هذا العنوان تعديلا لعنوان كتاب (ديل كارنيجى) الشهير (دع القلق وابدأ الحياة) كما يتبادر الى الذهن لأول وهلة، انما شعار ترفعه، وهدف تسعى الى تحقيقه منظمة (وايت دوت) الدولية. وهي منظمة غير حكومية، تتخذ من العاصمة الأميركية مقرا لها، وتوجد لها فروع في دول عديدة، ومنها المملكة المتحدة .

وتحاول المنظمة اقناع الناس في كل مكان بعدم اقتناء اجهزة التلفزيون، والامتناع عن مشاهدة برامجه، لما تتركه من آثار سلبية على حياة الانسان، وصحته البدنية والعقلية، وعلى حياته الاجتماعية. وتقول جين لوتوس – التي يعود اليها الفضل الأكبر في تأسيس المنظمة – اننا نحاول ان نعيد الى الناس حياتهم الخاصة التي فقدوها بسبب التلفزيون، هذا الجهاز الذي اصبح بديلاً عن الأقارب والأصدقاء والجيران .

نحن نعرف أسماء ابطال المسلسلات التلفزيونية، ولا نعرف أسماء جيراننا. التلفزيون ينتزع منا جزءاً مهماً من حياتنا، ولا يقدم لنا بالمقابل شيئاً ثميناً.

الناس في الولايات المتحدة الأميركية يشكون دائماً من ضيق الوقت، ولكنهم يجلسون امام شاشة التلفزيون لساعات طويلة. و تقول الاستبيانات: ان المواطن الاميركي يقضي في المتوسط اربع ساعات امام التلفزيون كل يوم اي ما يعادل خمسة ايام في الشهر، او شهرين في السنة، وتسعى المنظمة الى تحريرهم من شباك هذا

الصندوق البلاستيكي، لأن التلفزيون يحرم الناس القدرة على التفكير المستقل ويجعلهم أسرى للتسلية ونهبا للأنفعال المستمر والقلق والتوتر .

والاطفال هم الاشد تأثراً بالافرازات السلبية للأدمان التلفزيوني وتعرضاً لمخاطره، ذلك لأن الجلوس أمام الشاشة لعدة ساعات كل يوم، يحرم الصغار من الحياة الطبيعية النشطة الضرورية لنموهم وصحتهم البدنية والنفسية، ويشوه عملية تكوين الشخصية، التي تتشكل في السنوات المبكرة من حياة الانسان. التلفزيون يجعل الاطفال انعزاليين، لا يرغبون في الالعاب، ويجدون صعوبة في تركيز الانتباه وينفرون من القراءة .

ويرى علماء النفس: أن التلفزيون ليس جزءاً ضروريا للوجود الأنسانى، ولا يقدم ما يثري الثقافة الحقة، بل يعمل على تشويهها وتسطيحها، ويحول افراد المجتمع من بناة مبدعين الى مراقبين سلبين .

اما رئيس فرع بريطانيا لمنظمة (وايت دوت) ديفيد بارك – وهو صحفي – فقد بدأ حملته المناهضة للتلفزيون بالوقوف وسط لندن فوق جهاز تلفزيون عاطل منددأ بالتلفزيون ، لافتاً الانظار الى آثاره السلبية، وطالب بتخصيص اسبوع من كل عام يتخلى فيه الناس عن مشاهدة التلفزيون. واطلق عليه اسم (اسبوع التلفزيون المغلق). وقد تبنت الصحافة الغربية عموما هذه الفكرة، ويتم تطبيقها كل عام على نطاق واسع نسبياً حيث تقوم آلاف المدارس الأميركية والبريطانية بحث التلاميذ وأسرهم للأستجابة لهذه الدعوة. وقامت

المدارس بتنظيم فعاليات رياضية واجتماعية خلال (أسبوع التلفزيون المغلق). وقدمت هدايا وجوائز تشجيعية للتلاميذ، وقد لاحظ المعلمون، ان الاطفال يبدون خلال هذه الاسبوع انضر واوفر صحة ونشاطاً واكثر حيوية ومرحاً.

وفي المجتمعات المتخلفة، في البلدان النامية، يستحوذ التلفزيون ليس على وقت الفراغ فحسب، بل يستأثرايضا بجزء لا يستهان به، من الوقت المخصص للعمل والانشطة الاجتماعية والثقافية والرياضية، بسبب شحة وسائل التسلية الاخرى، وخاصة فى ظروف فقدان الأمن والأمان، حيث يفضل سكان المناطق المضطربة فى العراق ملازمة بيوتهم لمعظم الوقت، وليس ثمة اى احصائية عن عدد الساعات التى يقضيها الفرد العراقى امام التلفزيون ولكن يمكن القول انه لا يقل عن (6) ساعات فى اليوم، حيث احتلت هذه الوسيلة الأعلامية والترفيهية مكان الصدارة فى المجتمع العراقى، وبخاصة بعد سقوط النظام السابق، والأقبال الشديد الواسع النطاق، على اقتناء اجهزة الستلايت، التى كانت محرمة على المواطن العادي. ولكن الأدمان التلفزيوني، وشيوع استخدام أجهزة الهواتف الذكية، ادى الى عزوف العراقيين عن قراءة الكتب والصحف الى حد كبير .

ولا جدال فى ان الفرد العراقى يتعرض الى مخاطر كبيرة من جراء الأدمان التلفزيونى، اكثر من اى فرد اخر فى اى بلد من بلدان العالم، نظرا لما تقدمه القنوات التلفزيونية العراقية والعربية من برامج تؤجج الأزمات السياسية، والنزعات الطائفية، في وقت يتبادل

فيها سياسيو الصدفة، الأتهامات بالفساد، ويتصارعون على المغانم والمكاسب. وهى برامج تثير مشاعر الأحباط والخيبة والقنوط فى النفوس. ومما يزيد الطين بلة،العرض اليومى المتكرر لمشاهد العمليات الأرهابية البشعة من تفجير وقتل واختطاف وذبح .حيث يتعاطف المشاهد مع الضحايا فى بداية الأمر، ويعتصر قلبه حزنا وألما وكمدا،على ازهاق ارواح اناس أبرياء،ولكن الأنسان يعتاد بمرور الوقت مثل هذه المشاهد. مهما كانت بشعة او سيئة، ويتضاءل اهتمامه بصور الحوادث اليومية المفجعة والمرعبة فى ان معا، وتصبح امرا عاديا. وهنا مكمن الخطورة .لأن مثل هذه المشاهد والصور تترك اثارا سلبية بالغة الخطورة فى نفوس الجيل العراقى الصاعد، وسلوكهم وتعرضهم الى شتى انواع العقد والأنحرافات النفسية،وتشجعهم على العنف والقسوة، والأستهانة بالأرواح والقيم الأنسانية .

أنها مسألة تستحق وقفة تأمل ودراسة، من أجل حماية المواطن العراقى من الآثار السلبية لهذا الصندوق الساحر .

محتوى الكتاب

تقديم 5

القسم الأول: نظرة جديدة الى العمل الصحقي 9

من هو الصحفي؟ 11

الصحفي والسياسة 16

بين صحافتين جيدة وسيئة 22

صحافة الأثارة بين اختراق التابوهات وتزييف الواقع 30

الكاريكاتير .. فن يعبّر عن جوهر الأشياء 35

العلاقة الملتبسة بين الأعلام والأرهاب 44

من المستفيد من إحتكار المعلومات 52

حرية الصحافة بين التشريع 55

المعايير الأخلاقية للعمل الصحفي 59

أشهر الأخطاء المطبعية في تأريخ الصخافة 69

القسم الثاني: الصحافة الورقية في عالم 77

الصحافة الجديدة..... 79

خصائص المحتوى الأعلامي الجاذب 87

الطريق الى القاريء يبدأ من العنوان! 95

كيف اصبحت الصورة قوة محركة للصحافة؟ 101

دروس وعبر من تجربة صحفية ناجحة 108
هل تشكل الصحافة المدنية خطرا على الصحافة التقليدية؟ 111
هل انتهى زمن الصحافة الورقية؟ 116
القسم الثالث: صحافة العصر الرقمي 127
نحو مفهوم جديد للرسالة الأعلامية 129
الأنترنيت والتلفزيون من المنافسة المحمومة الى الإندماج والتكامل 133
مسرات العصر الرقمي 139
سوبرمان العصر الرقمي 141
السلطة الخامسة 144
القسم الرابع: بعض التأثيرات السلبية لتكنولوجيا المعلومات 151
كيف تؤثر تكنولوجيا المعلومات في قدرة الأنسان على التفكير؟ 153
الأمية الألكترونية 156
هل الكتابة اليدوية في طريقها الى الزوال؟ 163
اغلق التلفزيون وابدأ الحياة 166